

ماهي الاشتراكية ؟

الحزب الشيوعي يتشكل على
نفس القواعد في كل البلدان

الحزب الشيوعي هو بالضرورة
اممي

ما يميزه حزبا

فهرس

ما هي الاشتراكية ؟	٥
الحزب الشيوعي يتشكل على نفس القواعد في كل البلدان.....	١٤
الحزب الشيوعي هو بالضرورة أممي.....	٢٦
ما يتميز به حزبنا.....	٢٩

**programme
communiste**

بالفرنسية

EL PROGRAMA COMUNISTA

بالاسبانية

KOMMUNISTISCHES PROGRAMM

بالألمانية

COMMUNIST PROGRAM

بالإنجليزية

IL PROGRAMMA COMUNISTA

بالإيطالية

PROLETARIER

بالألمانية

LE PROLETAIRE

بالفرنسية

EL OUMAMI

بالفرنسية والعربية

EL COMUNISTA

بالاسبانية

EL PROLETARIO

PROGRAMME
BP 57428
69347 LYON CEDEX 07
FRANCE

جميع المراسلات على عنوان

دار البرنامج الشيوعي

programme communiste

Theoretical Review of the International Communist Party

Editorial office: 20, rue Jean-Bouton, 75012 Paris (France).

Yearly subscription:

— unsealed: £ 3.50 / \$ 7.00

— closed mail (first-class mail in the U.S.): £ 5.00 / \$ 10.50

Payments by check or international money order to F. Gambini.

All correspondence should be sent to the above address.

programme communiste

Revue théorique du Parti Communiste International

Administration et diffusion: 20, rue Jean-Bouton, 75012 Paris.

Abonnement annuel:

— pli ouvert: 40 F - 400 FB - 6.000 Lires - 24 FS - 240 Esc.

— pli fermé: 56 F - 560 FB - 8.500 Lires - 35 FS - 300 Esc.

Paiement par chèque bancaire, chèque postal ou mandat-poste international à l'ordre de F. Gambini (C.C.P. 2202-22 L Marseille).

La correspondance doit être adressée à la revue.

Imprimerie « E.P. », 232, rue de Charenton, 75012 Paris.

Commission Paritaire des Papiers de Presse n° 53116.

Distribué par les NMPP — Directeur de la publication: Saro

المقدمة

قد يبدو ناتئاً في عصر يشاع فيه بأن الاشتراكية تسود ثلثي الكرة الأرضية ان نضع علامات استفهام حول خصائص المجتمع الاشتراكي المقبل .

غير ان مدعاة هذا التساؤل تنبع من تعددية « نماذج » الاشتراكية التي تطرح هنا وهناك ، والتي تتلون بألوان الاعلام الوطنية . وعلى الاخص من حيث ان الشبيبة التي تتفتح حول المسائل النظرية للتحرر البروليتاري تتفاجأ - ولا بد انها تتنفس الصعداء - برؤية كل هذه الاشتراكيات تثير حولها الغبار ، وتصعد الأذان بوضاؤها في حين يجري التعقيم على الحركة الشيوعية الثورية ويلتفها صمت مطبق بعد ان صدعتها الى حين ضربات الاعداء .

لقد كرس حزبنا ، عبر مسار طويل وشاق ، أعمالاً عدة تتمسك وتدعو لاشتراكية ماركس ولينين . وتستعيد النقاط الاساسية في النظرية والبرنامج الماركسي بعد ان جعلتها الاحزاب الدخيلة على الماركسية هباء منثوراً .

ان المقال الاول من هذا الكراس قد اقتطف من كراسنا الذي صدر عام ١٩٧٧ بعنوان ما هي الاشتراكية؟ الاشتراكية العلمية ضد الاشتراكية الوطنية الجزائرية . وهو يذكر تاريخياً بنقاط التعارض بين الاشتراكية العلمية والاشتراكية البرجوازية الصغيرة .

ان هذا التعارض يستمد جذوره منذ البداية بحيث ان الشيوعية الثورية قد بزغت منذ فجرها الاول كحزب متميز ومستقل .

فالماركسية قد غدت حزبا عندما تصدت بالتحديد لهذه الحماقات التي تدعي بانه ليس على البروليتاريا ان تدخل مسرح التاريخ بهدفها

ماهية الاشتراكية؟

التناقض التاريخي بين الاشتراكية العلمية والاشتراكية

البرجوازية الصغيرة

الماركسية الاشتراكية والشيوعية

لقد اتخذ الهدف النهائي (الشيوعية) أطره المحددة منذ طفولة الاشتراكية البروليتارية .

فالماركسية لا تتعارض في المجال النظري مع الشيوعية الطوباوية، بل تأخذ بأرائها، ولكنها بالمقابل تضعها على المشرحة النقدية ، فالماركسية تطرح الشيوعية كأهداف يمكن بلوغها بما هي نتيجة للحركة التاريخية ، فتطور القوى المنتجة نفسه ، هو الذي يستدعي وبشكل ملح ضرورة تجاوز الأطر التي تقيد بها علاقات الانتاج السائدة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ينيح ، مع صعود البروليتاريا ، نمو الطبقة المؤهلة بمعطيات موضوعية لاقامة الاشتراكية . هكذا تخلصت الشيوعية من طابعها الوهمي التي كانت أسيرته حتى ذلك الحين ، وغدت علما حقيقيا .

على هذا الصعيد النظري ، تتعارض كل من الشيوعية المثالية والشيوعية النقدية مع الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، فبوسع هذه الاخيرة أن تنقل صورة دقيقة لعاهات المجتمع ، الا انها تدعي مصالحة التناقضات الاجتماعية بدل ان تجعل هدفها ازالة الطبقات .

تطالب الشيوعية بازالة التناقض بين الرأسمال والعمل المأجور ، اي ازالة الظروف التي أوجدتها ، ويعني هذا ازالة وجود الطبقة التي تتحكم بوسائل الانتاج وبالتالي انتاج العمل الاجتماعي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ازالة ظروف الطبقة التي لا تملك سوى قوة عملها وتضطر كيما تعيش أن تضع قوة عملها في تصرف الطبقة الرأسمالية لقاء الاجر ، وهي بذلك تخلق قيمة أكبر مما يقتضيه اعادة انتاج نفسها . فالشيوعية تستطيع على قاعدة الانتاج الاجتماعي الحديث —

ومطالبها ومنهجها الخاص ، طالما لم تستنفذ الطبقات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة مهمتها التاريخية .

أما المقال الثاني الذي نشره في هذا الكراس فسبق له ان ظهر عام ١٩٧٨ باللغة الفرنسية ، في العديدين الاول والثاني من نشرتنا التي تصدر باللغتين العربية والفرنسية « الاممي » . وهو يدافع عن ضرورة حزب بروليتاري متميز ويشدد على طبيعته الاممية . والواقع ان الحركة البروليتارية قد اتت في كل مرحلة تاريخية بتنظيم كان يكتسب باستمرار، مزيدا من التمركز على الصعيد العالمي .

وقد ظهر المقال الاخير عام ١٩٧٦ باللغة الايطالية في لسان حزبنا « البرنامج الشيوعي » ، وهو يعرض نبذة عما يتميز به حزبنا عن كل الاحزاب والتيارات الاخرى التي تدعي انتماءها للماركسية ، وهو يبين بانه الوحيد الذي بإمكانه اليوم ان ينادي بصورة تامة بالمبادئ نفسها التي تأسست عليها أممية لينين ويقدم تقييمه لمسألة الثورة المضادة التي اودت بالحركة الشيوعية نحو الهلاك منذ خمسين عاما .

عبر هذا الكراس الصغير يتمكن القارئ الذي أحيل حتى اليوم بينه وبين التقاليد الماركسية الثورية ، اي الماركسية التي لم تجهض ولم تمرغ بالاحوال على يد الستالينية ومن بعدها المساوية ، والتروتسكية المنحدرة ، (او بالاحرى الديمقراطية البرجوازية) . يتمكن قارئنا من العثور على الخيط الاحمر الذي يربط المعارك النظرية والعملية التي تفتقت عن المسار العسير للحركة البروليتارية ويتمكن من استعادة العلم الذي ينبغي ان تنهض به البروليتاريا وترفعه راية انتصارها ، ذلك العلم الذي اتخذ منذ ١٨٤٨ لونه الاحمر مخضبا بدماء الشهداء الذين سقطوا على هذا الدرب وما زال صوتهم يدوي مطالبيا بثأرهم التاريخي .

الذي هو نتاج للرأسمالية — أن تزيل التبادل الذي أصبح قناة جد ضيقة ، لا يسعها السماح بمرور إنتاج قد غدا بدوره بالغ الاتساع بالنسبة إليها ، مما يؤدي مرة تلو المرة الى اعانة الالة الانتاجية وايقاف عملها ، مسببا حروبا وأزمات تزداد هولا وشراسة بشكل لا يطاق .

وإذا كانت الثورة ، تهدم هذا الغلاف المعيق للتبادل السوقي ، وكل التقسيمات القديمة التي لا يمكن أن تخفي بدونه (حدود المنشآت ، الحدود الوطنية ..) ولكن بالرغم من هذا التهديم يبقى **العمل الاجتماعي** الذي يحتويه ذلك الغلاف ، ولكن بمجرد أن يتحرر العمل الاجتماعي ، يمكن عندها الاكتفاء بتنظيمه اجتماعيا ، أي إعادة موافقته مع طبيعته ، فيمكن أن يتم تنظيمه على **الصعيد الأممي** تبع مخطط حقيقي يحل في النهاية محل فوضى السوق ويعبر عن تسخير القوى الطبيعية والانسانية التي توظف أخيرا في خدمة النوع البشري بكامله، وفي خدمة تطوره أيضا .

عند ذلك يستطيع المجتمع ان يتصدى بجدية لازالة آفات عديدة تجد أصولها في العائلة ، في الفصل بين الريف والمدينة ، والفصل بين العمل اليدوي والعمل الذهني ، وفي وجود الدولة .. الخ .. هذه الآفات التي طورتها الرأسمالية حتى الان لدرجة كبيرة .

أما الاشتراكية البرجوازية الصغيرة فانها من جهتها تتصور مصالحة التناقضات بين الطبقات والتناقضات بين الأمم ... الخ هذه هي الفكرة الرئيسية التي تطالعنا بها كل تنوعات تلك الاشتراكية . كان « لويس بلان » مثلا يفكر بالتوفيق بين ايجابيات الانتاج الحديث وحماية الانتاج الصغير من الخراب ، عن طريق المحترفات الوطنية وقروض الدولة . هكذا باختصار كان يفكر بايجاد علاقات منسجمة بين قطاعين ، دون المساس بالسوق أو بالمنافسة ! ومن جهته « برودون » كان يبحث عن منبع كل الالام في مسألة عدم اخذ الرأسمالية بقانون القيمة ، فهو لم يكن يدرك بأن الشكل الاكثر بساطة لهذا القانون (الذي كان يرى فيه مثلا يجب الوصول اليه بينما كانت الرأسمالية تخزقه باستمرار) يماثل مجتمعا محددا هو مجتمع السوق ، الذي يؤدي بالضرورة الى الرأسمالية ، حيث يشهد قانون القيمة تحول شكله البسيط الى شكل متطور اكثر تعقيدا (دون ان يعني ذلك التكرار لاصله) فكان « برودون » بذلك يتوق الى المجتمع الرأسمالي وقوانينه ولكنه يشترط عليه أن يكون خاليا من عيوبه وشوائبه .

وإذا ما انتقلنا من مجال النظرية الى مجال السياسة رافقنا نفس التعارض بين الشيوعية والديمقراطية البرجوازية الصغيرة المستوحاة

من المثاليين الاشتراكيين . فالشيوعية قد تخلصت نهائيا من طوباوية يخيّل اليها ان تفرض المجتمع المقبل بقوة الايمان والمثل ، فأظهرت الاشتراكية كنتاج لصراع الطبقات وللتناحر الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية . فقد أصبح لزاما عليها اذا ، ان تخوض صراعا سياسيا يدينه الطوباويون ، حيث تصطدم على أرضية هذا الصراع بدمقراطيين متركسين لا يتوانون عن الاعتراف الكلي بوجود الصراع الطبقي ولكنهم يؤمنون بوجود تجاوزه في محاولة لتخطي التناقضات الاجتماعية ومصالحتها ، عبر المطالبة المهمة بالتخفيف من اللامساواة الاجتماعية . في ذلك لا تكفي الاشتراكية البروليتارية العلمية بحد الاعتراف بوجود الطبقات الاجتماعية وبالضرورة التاريخية لصراعها فحسب ، بل تذهب به الى حد الاعتراف بدكتاتورية البروليتاريا حيث سيؤدي بالضرورة صراع الطبقات (ماركس) .

هذه الدكتاتورية لا بد منها خلال مرحلة انتقالية تنتهي بازالة التبادل على عتبة الدخول في الطور الأدنى من الشيوعية أو حسب التحديد الاكثر انتشارا الاشتراكية والتي يعبر عنها بصيغة : « من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله » هذه الصيغة التي تدعى أوروبا الشرقية والصين بكل عهر ، انها حققتها عبر « اجر عادل » بينما هي تفترض ازالة الاجر !

أما السمة الأخيرة للاشتراكية البروليتارية والتي تأكدت مع ولادتها فهي **طابعها الأممي** ، فبيان ١٨٤٨ يذكر بأن الرأسمالية لا تولد في مناخ وطني ولكنها تفترض منذ البداية التجارة بين كل القارات، وبأن التراكم الاولي قد تحقق بجزء منه باسترقاق القارات الملونة . فتطور الرأسمالية خلق القاعدة الضرورية للثورة الشيوعية وذلك بأن ربط فيما بينها كل المجتمعات القائمة على الاتكال المتبادل وبأن شرك الانتاج على الصعيد العالمي ، وبهذا أيضا خلق البروليتاريا صانعة تلك الثورة . لذلك فالبروليتاريا تجمعها نفس المصالح في كل البلدان .

« فالعمل الصناعي الحديث — كما يذكر البيان — واسترقاق الراسمال الحديث للعامل سواء في انجلترا او في فرنسا ، في أميركا او ألمانيا ، ينزعا عن البروليتاريا كل طابع قومي » .

في أي مكان لم يدخل اليوم بعد « العمل الصناعي الحديث » هذا اذا ما تركنا جانبا واقع التنافس الهائل بحيث اذا لم يذهب الراسمال بنفسه الى الجماهير المتبلترة فان هذه الجماهير تأتي اليه بنفسها عبر الهجرات التي تدفع حتى النهاية « بتجريد العمال من كل طابع قومي » . « ليس للعمال وطن » كانت هذه هي صرخة الاشتراكية الحقيقية

خاضته أمية لينين لتثبيت هذه المسلمات النظرية . لقد نقضت الستالينية النظرية الماركسية بالكامل واعادت **احياء نظرية الاشتراكية البرجوازية الصغيرة** وهذا ما يفسر استحالة العثور على تعبيرات نظرية ستالينية مكتملة لان دورها لم يكن بناء نظرية بل كان دورها يقوم على **تدمير النظرية** .

لقد ادعت الستالينية مستندة الى الطابع البروليتاري الشيوعي الاصيل لثورة اكتوبر ، بأن روسيا قد غدت اشتراكية في اقتصادها ، وقد سحبت الانجاز السياسي للثورة البروليتارية على المجالين الاجتماعى والاقتصادي مما ادى على يديها ، لمصالحه الاشتراكية مع كل من السوق والطبقات الاجتماعية والدولة السياسية وهذا ما تم عمليا ، وادى الى جعل الاشتراكية حدثا قوميا والى تهديم المرتكزات النظرية للاممية الشيوعية جرت تبعاتها المنطقية والعملية الى تصفية البقايا المبعثرة للاممية الثالثة عام ١٩٤٣ ومنذ ذلك الحين أصبحت السمات الاساسية العامة للاشتراكية (على الثقيلة الستالينية) هي التأميمات والتخطيط ... الخ هذه الاجراءات التي لا تتردد اليوم البلدان الرأسمالية الاكثر قدما من الاخذ بها ، ولكن دون ان تلجأ الى اخفاء هويتها الفعلية .

ونشر استطرادا بأن الاممية الشيوعية كان عليها ان تحارب بشراسة ، كل وجهات النظر « الاستقلالية » من نقابيه ومجالسيه ، وغرامشيه وغيرها هذه التي لم تكن سوى بعث للبرودونية بحلقة « تسيير عمالي » للمصانع وللغروب الصناعية او على شكل « ديمقراطية المنتجين » فهذه الاتجاهات كلها تشكل عقبة في وجه تضافر القسوى البروليتارية ضد الدولة البرجوازية ، وتساهم في تعطيل سلاحها السياسي (الحزب) قبل ان يغدو في ظل الدكتاتورية ، راية للتيارات المعادية للمركزية . والمصيبة ان هذا الخليط النقدي بعث من جديد بحجة الصراع ضد المركزية الستالينية دون ان يدرك ان البروقراطية الستالينية حاولت تنظيم القوى المنتجة بشكل منسجم ، انها على قاعدة تطور القطاعات السوقية والرأسمالية وهذا ما جعلها تدعي داخل الحزب اجتياز منعطفات متتابعة بحيث ضربت صفحا عن الاشتراكية لصالح دكتاتورية البرجوازية ، عندها هلمت القوى « الفعلاجية » (مجالسية غرامشيه فوضوية ...) ففرت لا تلوي على شيء ، ترفض تحت حجة النقد للمركزية الستالينية ، كل مركزة وكل تمرکز كل دكتاتورية حتى ولو كانت مجرد تسمية ، فحالت بذلك دون الشيوعية لا بل دون شرطها الاساسي (الثورة البروليتارية ودكتاتوريتها) .

البروليتارية الثورية منذ البداية ، فالطبقة العاملة تتابع اهدافها الاممية وهى مسلحة بمبادئ مستخلصة من تجربتها العالمية ، وهى بذلك تحتاج **لحزب اممي** يسترشد بنظرية واحدة كي يتمكن من ربط وتوحيد نضاله في استراتيجية واحدة فوق كل المشاكل الخاصة التي يصطدم بها هذا الصراع في ظروف جغرافية او تاريخية خاصة ، لهذا سمي بيان ١٨٤٨ **ببيان الحزب الشيوعي** لانه لا وجود الا **لحزب شيوعي واحد فقط** .

انتصارات الثورة الشيوعية في روسيا وكارثة انحلال الحركة البروليتارية

من المهم ان نذكر في وجه التزويرات العديدة التي تلت ، بأن الخصائص الثلاثة السابقة للشيوعية البروليتارية قد اكدتها ثورة اكتوبر .

وبالرغم انها حدثت في بلد متخلف اقتصاديا فقد استولت البروليتاريا على السلطة السياسية لتتولى في الداخل مهام ضد الانتعاعية وهى تعي بوضوح بأنها تتصرف على الساحة الاممية كفضيل لطليعة الثورة العالمية ، التي لا يمكن لها دون هذه الثورة ان تتجاوز حدود الاقتصاد الرأسمالي بالرغم من رقابة الدكتاتورية الشيوعية ، ولقد وضعت الدولة البروليتارية في روسيا نفسها في خدمة النضال الاممي لبروليتاريا الغرب ولجهاير الشرق المضطهدة، عند نضالها بالتحديد لانهاء الحرب الامبريالية اضافة للدور الذي اذته في سبيل خلق الحزب الاممي للبروليتاريا (الاممية الثالثة) ، بيد ان الضربات المتتالية قد سددت للثورة الروسية والثورة العالمية فقد عزلت روسيا البروليتارية وحرمت من مساعدة العمال الاوروبيين (الالمان خاصة) وتعرضت لضربات مزدوجة من الامبريالية العالمية والقوى الاجتماعية التي كانت تنمو في روسيا خلال التطور الرأسمالي ، بحيث تمكنت القوى المعادية من احكام قبضتها على الحزب البلشفي نفسه وتوصلت الى ان تفرض على الدولة طابع قومي معاد للبروليتاريا ، حتى وقبل ان تنتهي الثورة المضادة من التصفية الجسدية (بالمعنى الحرفي) وتذبح الطليعة الثورية القديمة في الحزب .

ليس هدفنا هنا دراسة الثورة المضادة الستالينية او انحلال الحزب الاممي (الذي لم يكن على العموم مستبعدا في مسار التاريخ) انما نرى انه يستحيل فهم ما ينسب الى الاشتراكية عبر قوى تدعي الانتماء الاشتراكي ، دون العودة الى تلك الاحداث الهائلة التي قلبت ، كل المسلمات النظرية رأسا على عقب بالرغم من النضال الشرس الذي

أما إذا عدنا الى متارنة خصوصيات الاشتراكية الستالينية نسبة للاشتراكية القديمة البرجوازية الصغيرة والاصلاحية يمكننا ان نحددها بخاصتين على الاقل :

١ - **تتمثل الاولى في المطالبة بأسلحة العنف والدكتاتورية** التي نتجت عن التنسيق بين انحلال الحزب الماركسي والدور الرأسمالي التقدمي في تصنيع روسيا وآسيا .

فمثل هذه الخصوصية كانت مؤهلة طبيعيا لان تخف حدتها مع الزمن وقد هيا المؤتمر العشرون للحزب الروسي ارضية ازلتها النهائية - أصبح كل شيء جاهز ولا ينقص سوى الفرصة المؤاتية - ؟!

٢ - أما الخاصية الثانية فهي **الانتاجية القصوى** الستالينية التي تجدد اصولها في ظروف تراكم بدائي يصطدم ، كما في روسيا ، بسوق عالمية امبريالية فيؤدي بالتالي الى الاضطهاد الشرس وقمع البروليتاريا الروسية .

التأثير التاريخي للاشتراكية البرجوازية الصغيرة

يقتصر منذ زمن طويل عمل الاشتراكية البرجوازية الصغيرة في المناطق الرأسمالية المتقدمة او المناطق الامبريالية ، على تستير العمل المضاد للثورة الذي تمارسه الاحزاب التي تربط مصير الاستقراطية العمالية والبرجوازية الصغيرة بمصير برجوازية «هم» في السيطرة والقمع والنهب الرأسمالي وتدافع عن امتيازات برجوازياتهم وتبهرج القمع البرجوازي أمام البروليتاريا بألوان جميلة من الحضارة والسلم والاكاذيب الأخرى .

فلقد أمكن لبروليتاربي وجماهير المغرب العربي المستغلة تحديدا ، ان تخوض غمار التجربة المساوية لهذا الدور التاريخي الذي لعبته الاشتراكية الامبريالية ابتداء من ميتران وكاشان انتهاء بتوريز ومارشيه! اما في المناطق الرأسمالية الناشئة فتشغل هذه الاشتراكية السوقية ، التوفيقية والوطنية ، دورا مختلفا وتظهر بحلل أخرى : فهي تلبى حاجات تطور الرأسماليات الفتية ضمن ظروف تاريخية خاصة لا تتيح للبرجوازية ان ترى النور الا في الاطار العالمي للامبريالية .

ان هذه الطبقات الاجتماعية هي نتاج لقوى اقتصادية تصطدم عند نشوئها ونموها ، بالامبريالية ، فيغدو لزاما عليها اذا ان تطالب ، على المستوى الاقتصادي **باجراءات الحماية** ضده مثل التأميمات وتمركز التجارة الخارجية الخ .. وأن تتبنى بالكامل أساليب الادارة الاكثري عصرية ، وأن تقبل بالتحديد بتدخل الدولة بشكل أوسع في مجال

الاقتصاد والتخطيط .. الخ فمسألة ارتباط هذه الاجراءات التي يفرضها التنافس مع الرأسمالية الامبريالية ، بالصراع السياسي والعسكري ضده ، بهدف توطيد الدولة القومية ، تغذي الوهم الذي زرعه التراث الرسمي للاشتراكية المزيفة الستالينية ، بان اجراءات الحماية هذه مضادة للرأسمالية ويؤدي بالتالي الى عدم التمييز بين الصراع القومي ضد الامبريالية وبين الصراع ضد الرأسمالية من اجل الاشتراكية .

ان الطبقات التي تنمو من التطور الرأسمالي في العالم الثالث والتي بلغت هذا الطور او ذاك من التشكل ، او حتى اذا كانت مجرد شرائح تبشر بطبقات عصرية فهي في وضعها هذا تقوم بدور ثوري او حق تقدمي ولكن بدرجة متفاوتة . فهي تنزع طبيعيا - على الاقل الاجنحة الراديكالية منها - الى ان تنهل من نظريات اجتماعية وسياسية معادية بنسب متفاوتة للنظام القائم او حتى معادية له في الظاهر .

نقول ذلك لان هذه المذاهب لها صلة مباشرة او غير مباشرة بالطبقة الوحيدة التي يمكنها على الصعيد الاممي والتاريخي أن تخطو بالانسانية خطوة عملاقة نعني بذلك طبقة البروليتاريا التي تتطور مع تلك الطبقات وتقدم كل تفان في النضال ضد الماضي ، فهذه الطبقات الصاعدة تنزع اذا ، على الاقل في البداية ، الى ممالقة العمال بأحلام « الوحدة الاخوية » و « الاشتراكية » ولكن هذه الطبقات البرجوازية تلصق بالاشتراكية الابتذال الديموقراطي الذي ينسجم مع وضعها الانتقالي بين الامبريالية والبرجوازية القومية وبين الشرائح الشعبية المتحركة . هذا الابتذال يقوم على خرافة المساواة بين الامم والسلم بين الطبقات والوفاق الوطني والتحرر القومي ، دون ان ننسى الزخرفة التي تغطي هذه القضايا بحلى العدالة الاجتماعية والاخوة العالية .

أما من وجهة النظر المذهبية « فالاشتراكية الوطنية » تظهر طابعا آخر . فهي في البلدان الامبريالية تبدو كاتحطاط النظرية الماركسيية فتدعي ايجاد ظروف وطنية خاصة تبرر الخضوع لمتطلبات الحماية الاجتماعية والدولة ، مما يمكن البرجوازية ، التي تملك ثقافة مزمنة ذات طابع كوسموبولوتي متطور بشكل كاف ، من أن تبعث فيها رتابة يائسة في مختلف نسخاتها الوطنية .

ولكن هذه الاشتراكية تتحول في البلدان الفتية الى اداة لقوى نشأ بالتحديد في اطار اجتماعي ما قبل - برجوازي بالتالي فهذا الاطار لم يصف بعد الطبقات القديمة وشرائحها وايدولوجياتها ولكن هذه القوى التي جعلت من الاشتراكية الوملنية رايتها ، لم تجد بعد في الحركة

التاريخية نفسها نقطة الارتكاز الكافية لتخلص نهائيا من الماضي ، او انها غدت اكثر عجزاً من ان تقطع شعرة معاوية مع الطبقات القديمة وعاداتها . فهذه الطبقات هي اكثر ورع في النهاية من ان تجازف في خوض حرب راديكالية ، بادخال الطبقة البروليتارية التي يشر تاريخ سالفاتها الى خطرها المحقق في حلبة الصراع نفسه .

هكذا انتجت في المجال النظري الثورة الصينية عملاقة ثورات السنوات الخمسين الاخيرة ؛ النظرية « الماوية » التي لا يتردد اتباعها في التأكيد بأنها تسترشد بما هو صالح عند ماركس وكونفوشيوس .

وتوفر أيضا هذه الاشتراكية الوطنية في البلدان الفتية تنوعات محلية لامتناهية من امتزاج بعض الاستشهادات الماركسية بايديولوجيات قديمة وذلك تبع ظروف التلاحم الاممي وتبع الثقل الاجتماعي للشرائح القديمة وقلتها من ان تتيح للبروليتاريين من رفع رايتهم الزاهية في محاولة منها لابقائهم تحت نيرها الثقيل (*) .

الحزب الشيوعي يتشكل على نفس القواعد في كل البلدان

ان تشكل الحزب الطبقي المستقل ، في المناطق الجغرافية التي تسيطر عليها الامبريالية ، حيث يدفع تطور الرأسمالية ، البروليتاريا ، اكثر فاكثرا لتبرز مصالحها الخاصة ، هي مسألة حيوية تطرح اليوم ، بشكل مواز لمسألة اعادة بناء الحزب في المناطق المتقدمة صناعيا ، حيث كان قد تهدم كتنظيم ، من قبل الثورة الستالينية المضادة منذ خمسين عاما . ان بناء الحزب يثير مشكلات عديدة تناقش بحددة ، في وقت انقضت فيه صراعات تحرر وطنية في عدة مناطق جغرافية ، حيث تؤكد الطبقة العاملة (بشكل غير واع ولكن بعناد) اكثر فاكثرا على وجودها باحثة عن طريق دخولها مسرح التاريخ بمطالبها الخاصة .

على اية قواعد يجب ان يبنى الحزب الطبقي ؟ على هذا السؤال الملح نريد الاجابة وذلك بأن نذكر بتجربة حركة طويلة ، قد أصبح عمرها مئة وثلاثين عاما ، من تقدم وتراجع ، من انتصارات رائعة وهزائم ، حيث ينبغي ان تحضر هجمات الغد الظافرة .

والحال ان تجربة الحركة الشيوعية تعلم بأن الحزب منذ البداية يبنى على جسم نظري ، ذي برنامج ومبادئ موحدة لا تتبدل ، يقود النضال في كل المراحل التاريخية وفي كل البلدان . قد يبدو لنا مستغربا للوهلة الاولى التأكيد بأن البروليتاريا تتشكل في طبقة على نفس البرنامج في كل مكان ، ان هذا البرنامج يصلح لبلدان الرأسمال الهرم المتعفن ، حيث استفدت كل القوى التاريخية (باستثناء البروليتاريا) بعدها التقدمي وحيث ستكون الثورة القادمة شيوعية محضة . الا انه يصلح في نظر الشيوعية للبلدان التي لا تكاد البروليتاريا فيها تخرج من صراع مشترك مع البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة والجماهير الفلاحية ضد الاقطاعية وضد الامبريالية . حيث ان المطالب السياسية العديدة (البرجوازية والديمقراطية) مثل الحقوق السياسية او اصلاح الزراعة ، التي يتضح ان البرجوازية عاجزة عن تحقيقها ، او لا تحققها الا كوسيلة لتضليل الجماهير المستغلة ولتقوية دولتها الطبقية ضدها ، هذه المطالب

★ ان الماوية قد ولدت من رحم الستالينية . وكانت في ان معا ردة فعل عليها ، من حيث انها اتخذت من الاشتراكية البرجوازية الصغيرة لصن يات صن ، مرتكزا لها . وهي خير مثال للاشتراكية الوطنية . فمحاولتها في ان تابين نزاع المصالح الوطنية الخالصة بين الصين وروسيا بتبرير مذهبي قد جعلتها تحيي الى حين بعض الانشاء الستاليني . الذي تحاول الاحزاب الشيوعية الوطنية خلال تطورها المحتوم لان تتخلص منه كما يتم التخلص من ثوب بال .

تتحول من ذلك الحين الى رافعة سياسية للثورة البروليتارية . كما ويصلح اخيرا للبلدان ، حيث ما زالت تطرح مهمات ملحة للحريسة السياسية ، للوحدة الوطنية ، ولتحطيم بقايا العبودية والاستعمار . في ذلك يكني ان نعود الى سنوات ١٨٤٠ - ١٨٥٠ ، حيث ولدت الماركسية وان نأخذ بعين الاعتبار كيف طرحت المشكلة لنقتنع بأنه ، هكذا بالفعل ولد الحزب الشيوعي .

فانتصار الرأسمالية على الاقطاعية ، والبرجوازية على النبلاء ، الديمقراطية على الحكم المطلق ، والجمهورية على الملكية ، هو بالفعل امر كان مدرجا على جدول الاعمال آنئذ .

هذا ما اكدته الفقرة الاولى للنظام الاساسي لعصبة الشيوعيين المجتمعة في مؤتمرها الاول في صيف ١٨٤٧ : ان هدف العصبة هو اسقاط البرجوازية وسيادة البروليتاريا ، هو ازالة المجتمع البرجوازي القديم القائم على التناقض الطبقي واحلال مجتمع جديد دون طبقات ودون ملكية خاصة » . (١) .

عودة الى الكلاسيكيات :

ان في هذا ما يستدعي حقا « صراح وعويل » ادعاء الماركسية الذين يختالون منذ عشرات السنين على المسرح النظري بنظريتهم « الذائعة الصيت » في الثورة على مراحل ، والتي وفقا لها لا يسمح للبروليتاريا ان تفكر بتحررها الخاص ما دام لم يتحقق تحرر عدوها (الطبقة البرجوازية) . والاسوأ من ذلك ان هؤلاء المنظرين المأجورين جعلوا من خضوع الطبقة العاملة للطبقة البرجوازية فضيلة ، بحجة ان الثورة البرجوازية هي قضية الساعة .

انهم يطمسون بعناية ان التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا لا يمكن له ان يزول ، عندما تكون البروليتاريا - حسب مقولة ماركس - تقاوت لتتهزم « اعداء اعدائها » وذلك باعلان الحرب على الطبقات الاجتماعية الهرمة ، واليوم على الامبريالية .

وهم ينسون حتى القول انه غالبا ، وفي قلب هذا الصراع بالضبط ما تبرز لأول مرة ، الهوة الفاصلة بين البرجوازية والبروليتاريا . وان البروليتاريا هي وحدها القادرة على النضال بشكل فعال ، وحتى النهاية ، دون التطلع مطلقا الى الوراثة ، ضد النظام الاجتماعي القائم .

السبب بسيط كما يشرحه أنجلز فيما بعد في « الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية » : « منذ ولادتها والبرجوازية تثقل

بنقيضها ، فلا يتحقق وجود الراسماليين بدون الاجراء ، وبمقدار ما تحول بورجوازي جمعيات القرون الوسطى الحرفية الى بورجوازي عصري ، كذلك تحول متمرن هذه الجمعيات والياوم الحر الى بروليتاري . وحتى لو كان باستطاعة البرجوازية عموما ان تزعم انها تمثل في النضال ضد النبلاء مصالح مختلف الطبقات الكادحة في ذلك الحين على السواء . غير اننا كنا نرى انه عند كل حركة بورجوازية كبيرة ، كانت تقوم حركات مستقلة لباكورة البروليتاريا العصرية ، المتطورة نسبيا . هكذا كان اتجاه توماس منذر (المعموديون الجدد في زمن الاصلاح وحرب الفلاحين في المانيا : المتساوون في الثورة الانكليزية الكبرى وفي الثورة الفرنسية الكبرى بابوف) . (٢)

على هذا الواقع المادي الذي لا جدال فيه ولد منظور الثورة على الدوام التي نقلها نداء المجلس العام للعصبة في مارس (آذار ١٨٥٠) : ان على البروليتاريا ان تساهم بكل قواها في الثورة ضد الاقطاعية لتدفعها حتى النهاية ولتمهد بذلك ارضية لتحضير ثورتها الخاصة التي ستنتصر على الصعيد العالمي .

والحال ان مفتاح ذلك المنظور هو بناء الحزب الطبقي المستقل لذا يضيف النداء :

ان على العمال (وقبل كل شيء العصبة) ، بدل ان يحرقوا انفسهم ويصفقوا للديموقراطيين البرجوازيين ، عليهم ان يسعوا خارج الديمقراطية البرجوازية الرسمية ، الى تشكيل تنظيم مستقل ، سري وعلمي ، للحزب العمالي ، وعليهم ان يجعلوا من كل خلية مركزا ونواة للجمعيات العمالية حيث تقع مناقشة موقف البروليتاريا ومصالحها بمعزل عن التأثيرات البرجوازية » . (٣) .

اليسست الستالينية بالتحديد هي من عملت مرة اخرى على تحقير البروليتاريا وتسخيرها للتصفيق للديمقراطيين البرجوازيين وذلك بأن اخضعت تماما الحزب الشيوعي الصيني الى الكيومتناغ وبأن حرمته من كل سياسة مستقلة وحتى من برنامج زراعي ، وبأن جعلته عاجزا عن تحضير العمال والفلاحين للتصدي لخيانة هذا الحزب البرجوازي ؟

ويتابع النداء في هذا الصدد : « عندما يكون المطلوب فرض معركة ضد خصم مشترك لا حاجة البتة الى اتحاد من نوع خاص ، لانه ما ان يفدو لزاما محاربة خصم كهذا حتى تلتقي مؤقنا مصالح الحزبين . ما وقع في الماضي سيقع في المستقبل اي ان هذا التحالف ، الذي هو وليد ساعته فقط ، يتم من تلقاء نفسه » .

هذا ما جعله نداء ١٨٥٠ قاعدة يحتذى بها ، بينما اتخذت
الستالينية ، من الثورة البورجوازية ذريعة ، لندفع الحزب العمالي ،
باتجاه تشكيل جبهة دائمة مع الحزب البورجوازي .
وذكر النداء ايضا :

« كي يمكننا اتخاذ موقف حيوي ومهدد ، حيال هذا الحزب ، الذي
تبدأ خيانتة للعمال ، منذ الساعة الاولى للنصر ، على العمال ان يكونوا
مسلحين ومنظمين » .

اما الستالينية ، فقد اوكلت قيادة العمال المسلحين الى الكيومنتنغ ،
بحيث ان البورجوازية شرعت بتجريد العمال من السلاح ، حتى وقبل
ان تحقق النصر .

وبما ان العمال تلقوا هذه الخيانة ، دون ان يكونوا معدين من قبل
حزب ، يقبهم صدمتها ، فقد كانت هزيمة مريعة .

منذ ذلك الحين ، بقي السيناريو على حاله ، اينما كان ، حتى في
الثورات الاكثر راديكالية ، حيث ظلت محاولات العمال للتسلح ، تحارب
وتلجم من قبل الاحزاب الديمقراطية ، او ظلت تخضع لمراقبتهم ، من
سايفون الى الجزائر الى بيروت الى لاوندا .

ويرتفع صوت النداء مرة اخرى :

« اذا لم يتمكن العمال الالمان من الاستيلاء على السلطة ، وتغليب
مصالحهم الطبقيّة ، دون المرور بنظور ثوري طويل نوعا ، فان لديهم
اليقين هذه المرة على الاقل ، بان اول فصل من هذه المأساة الثورية
الوثيقة ، يلتقي مع الانتصار المباشر لطبقتهم ، بالذات في فرنسا ، والذي
يستمدون منه التصعيد » .

الا ان عليهم ان يساهموا انفسهم ، في انتصارهم النهائي ، بوعيتهم
لمصالحهم الطبقيّة ، وان يطرحوا انفسهم باسرع ما يمكن ، حزبا مستقلا
والا يغفلوا لحظة واحدة ، بالرغم من المداخلات الخادعة التي يرددها
البورجوازيون الديمقراطيون ، عن تنظيم حزب البروليتاريا بشكل مستقل
ان صرخة حربهم يجب ان تكون : الثورة على الدوام .

هكذا قد ختم النداء الرائع ، الذي نحن على يقين ، من ان صرخته
ستدوي من جديد ، في بلدان الثورة ، ذات المهمة المزدوجة ، مثلما
استجابات له بالامس ، وفي نفس الطريقة ، البروليتاريا الروسية .
البروليتاريا هي عمليا طبقة على حدة ، ذات مصالح على حدة ،
متميزة عن كل الطبقات الاخرى .

فالصراع الذي ينشأ عن النزاع بين العامل ورب العمل والسذي
يتحول عندما يتعمم الى صراع طبقي لا يمكنه ان ينتهي الا بالتدمير الكامل

للنظام القائم ، الا بازالة نظام العمل المأجور والربح والسوق ، فهذا
الصراع ينشأ منذ بزوغ علاقة الانتاج الرأسمالية التي تنتج البورجوازي
والعامل معا .

ان هذا يخولنا الدعوة لضرورة تأسيس حزب طبقي مستقل ، وطرح
الموضوعة القائلة بأنه اينما وجد البروليتاريون ومهما كانوا قلائل ، تدعو
الحاجة لاقامة نواة مستقلة للحزب .

على هذا النحو تصقل خلال التطور التاريخي طبقة ليس لها وسيلة
اخرى للعيش سوى الدفاع عن ظروف حياتها وعملها وسوى التشكل في
طبقة لا تملك اي احتياطي وليس لها ان تخسر في كل النضالات الثورية
سوى قيودها . لهذا تسهم البروليتاريا بحماس وحمية ، في ثورات غير
ثورتها بيد انها بذلك تخطو في نفس الوقت خطوة باتجاه نضالها ، مهمة
طريق المواجهة الاخيرة بينها وبين البورجوازية ، لذلك يضع الحزب
الشيوعي على عاتقه خوض هذه الثورات البورجوازية بعمق وحتّى
النهاية . فهي تعجل ساعة الثورة الشيوعية ، وتؤدي في حال تزود
البروليتاريا بحزب مستقل ، كما كان شأن روسيا ، الى اسقاط السلطة
في يدها .

والحال انه منذ بيان الحزب الشيوعي الذي طلب مؤتمر العصبة
المنعقد في نوفمبر (ت ٢) الى ماركس وانجلز صياغته ، اصبح بشكل
محدد - للبروليتاريا نظريتها ، برنامجها ومبادئها التي تخولها تشكيل
حزب مستقل .

حتى ذاك الوقت كانت الروليتاريا تتلمس طريقها عشوائيا غير انها
راكمت تجربة نضالية رائعة : صراع اقتصادي مع الحركة
التريدونيونية والتعاونيات وصراع سياسي مع الشارطية او البلاكية ،
وصراع نظري مع سيل الطوباويات الثورية والشيوعية .

بيد انه كان قد غدا لزاما ان تنصهر هذه الصراعات المختلفة في
صراع واحد ، وان تنير النظرية السياسية ، اي الصراع الطبقي بدل ان
تتصدى له ، لان يصبح النضال الاقتصادي منطلقا لتجميع القوى الطبقيّة
وان يستخدم « مدرسة حرب » بدل ان يبقى متعارضا مع النضال
السياسي .

فمنذ الآن مثلما أكد البيان :

« ان هدف الشيوعيين الفوري تشكل البروليتاريا في طبقة ، الاطاحة
بالسيطرة البرجوازية ، استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية »
(٤) .

اجل العار ()
للغوريين ، من كل حذب
فالهدف المباشر للشيوعيين هو الاشتراكية وان استلزم بلوغها ، المرور

بنضالات متعددة ، مثل الثورة ضد الاقطاع — اضيفوا اليوم ضد
الامبريالية — فهذه النضالات لا تشكل بحد ذاتها هدفا للشيوخيين بل
للديمقراطيين البرجوازيين . وهو هدف لا شك في مدى ثورته ، لذا لا
يحتقره الشيوخيون بل انهم لا ييخلوا في التضحية من اجله ولكنهم لسن
يموهوه مطلقا مع غاياتهم .

اما بعد ان تحقق البروليتاريا غايتها الفورية كما يؤكد البيان ايضا
« يغدو لزاما عليها ان تستخدم سيطرتها السياسية لتنتزع من البرجوازية
شيئا فشيئا الراسمال كله ، وتركز جميع ادوات الانتاج بين يدي الدولة
» واذا كانت تقضي بالعرف على نظام الانتاج القديم ، فانها بقضائها عليه،
تقضي بالرفق نفسه على شروط وجود التناحر الطبقي ، وعلى وجود
الطبقات عامة ، وتقضي بالتالي على سيطرتها الطبقة نفسها . وعلى
انقراض المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وتناحراته الطبقة ، يقوم مجتمع
يكون التطور الحر لكل فرد فيه شروط التطور الحر لجميع الافراد . »
المرتكزات المقبلة للحزب العالمي

منذ ١٨٤٨ غدا السلاح النظري والسياسي للماركسية اكثر حدة
وقد شحذته التجربة القاسية للهجمات الثورية ولهزائم الطبقة البروليتارية
وكذلك تجربة الصدمات مع القوى السياسية المعادية داخل الحركة
العمالية .

وقد قال البيان في حينه : « لا يشكل الشيوخيون في وجه الاحزاب
العمالية الاخرى حزبا متميزا » او ايضا : « وهم لا يقدمون مبادئ خاصة
يريدون قولبة الحركة العمالية بها » هذه التعابير اجترتها حتى القرف
تيارات تلصق اليوم بالحزب كل الاتام لانه طالب بقيادة النشاط الطبقي .
بيد ان الحركة البروليتارية في تلك المرحلة كانت تتمثل من جهة في
شيح تسعى لطرح تعاليمها المتنوعة على الواقع وتتنكر للصراع الطبقي
ومن جهة اخرى باحزاب سياسية كانت تطالب عمليا بالسلطة السياسية
وتجمع البروليتاريين قبل غيرهم لانهم كانوا بكل بساطة المحاربون الاكثر
راдикаلية من اجل الديمقراطية ولكن دون امتلاك برنامج اجتماعي محدد .
كما كان شأن الحركة الشارطية في انجلترا — على الاقل شارطية
اليسار — او شأن البلاكية في فرنسا .

فقد كانت العضلة تكمن في تجاوز الشيح عبر المشاركة بالحركة
الواقعية للبروليتاريا وبالقابل بادخال النظرية الشيوعية في خضم صراع
طبقي كانت تخوضه احزاب عمالية حقيقية. ولكن اكان يمكن ان يستمر
انضباط حزبي موحد بين الديمقراطية وبين الشيوعية البروليتارية بعد
هزيمة الحزب في انجلترا وانتفاضة حزيران في باريس مع الشق النهائي

الذي احدثته بينهما على مدى الساحة الاوروبية او بعد ان بدا جليا
للبروليتاريا بأن انتصار الديمقراطية اي في لغة فلك العصر انتصار
السلطة السياسية لا ينطوي الا على معنى الانتفاضة العنيفة ،
الديكتاتورية والارهاب الثوري ، وفي آن معا التدمير التام لآلة الدولة
البرجوازية النافذة بالنسبة للطبقة العاملة ؟

اكان يمكن بالتالي ان يستمر انضباط موحد بين الفوضويين
والبرودونيين من جهة ، والماركسيين من جهة اخرى بعد ان اقامت
تجربة كومونة باريس ، الدليل القاطع على ضرورة الديكتاتورية والارهاب
الثوريين ، على ضرورة دولة بروليتارية : اي قوة قهر والزام وتسلط ،
وخاصة بعد ان غدا متوجبا العودة الى بديهة مفادها ان الهزيمة نتجت
عن الغياب المأساوي لتنظيم قادر على قيادة الطبقة وبعد ان اكد ماركس
مستندا الى التقييم التراجمي للتجربة ، بان مهمة الاممية هي تنظيم
ومركزة القوى البروليتارية للمعركة التي تنتظرهم ؟ (٥) .

كان انجاز العجوز يعتقد اذا ان الاممية الالية ستكون شيوعية
على الفور بينما كتب لينين عندما كان الامر متعلقا بتأسيس الحزب في
روسيا ذاك البلد المتخلف بالنسبة للغرب الناضج انذاك لثورة شيوعية
على الفور : ان الاشتراكيين الديمقراطيين — او من نعتبرهم اليوم
شيوعيين — مقتنعون بان نظرية الاشتراكية العلمية والصراع الطبقي
تستطيع وهدا في الساعة الحاضرة ان تكون نظرية ثورية بحيث تغدو
راية للحركة الوطنية وهم ينشرونها بكل قواهم ويدافعون عنها ضد
التاويلات الخاطئة ويقفون في وجه محاولات ربط الحركة العمالية
التي ما زالت فتية : بنظريات اقل دقة . لقد برهنت الاعتبارات
النظرية واثبت النشاط العملي للاشتراكيين الديمقراطيين بان كل
الاشتراكيين في روسيا يجب ان يصبحوا اشتراكيين ديمقراطيين « (٦) .
يقترضسي التاريخ بأن يكون الحزب العمالي شيوعيا واما فهو
ضد الشيوعية ، وان تكون الشيوعية ماركسية او ان تتحول الى وصفة
رجعية . لقد حملت ثورة اكتوبر تكذبا للادعاءات الاصلاحية والتحريرية
الناشئة عند منعطف العصر من الفئات التي وزعتها الامبريالية الظاهرة،
فبرهنت عبر الوقائع جدوى الاسلحة النظرية للماركسية وجدوى مبادئها:
ديكتاتورية البروليتاريا والحزب الطبقي ، وهي اسلحة كانت قد القيت
جانبا من قبل القيمين على التطور السلمي للراسمالية . وهذا ما اتاح
للمرة الاولى كتابة البرنامج الكامل للشيوعية الثورية في موضوعات
الاممية وفي انظمتها الداخلية ، والتعيين الدقيق لمبادئها الصالحة من اول
الى آخر يوم في مسار معركتها التاريخية . ولكن ثورة اكتوبر قد ارسيت

ايضا ، بوضعها البرنامج في حيز التطبيق ، منظور الثورة الدائمة وقد كرس طروحات لا يغلها الذهن خلال المؤتمر الثاني في موسكو ، كذلك خلال مؤتمر شعوب الشرق في باكو الذي عقد لتدعيم الروابط الوثيقة بين الحركة البروليتارية في المركز ، وحركة التحرر البروليتاري والجماهير المستغلة والفقيرة للمدينة والريف في القارات الخاضعة ، وذلك في صراعهم ضد العدو المشترك .

لقد اتخذت تجربة تشكل الحزب البلشفي على هذا الصعيد اهمية بالغة الدلالة لان بناء الحزب في ظروف ثورة لم تكن شيوعية على الفور من جهة ، ومن جهة أخرى في ظروف لم تعد البرجوازية تمتلك المبادرة التاريخية على الصعيد العالمي ، بخلاف عام ١٨٤٨ حيث كانت البرجوازية ما تزال تصارع من أجل انتصار الرأسمالية ، فقد غدت البروليتاريا مذ ذاك المكافحة الطبيعية ضد الرأسمال الذي لا يكتفي بالاستغلال الاقتصادي بل يعمد الى كل ضروب الاضطهاد الاجتماعي والقمع الدموي . فكان من حصيلته هذا التطور التاريخي ان غدت البرجوازيات الحديثة أكثر ورعا في استكمال مهامها الثورية بفعل الثقل المتعاظم لبروليتاريا تنمو معها وتندفع قدما وباضطراد تحت عامل الاضطهاد الشرس الذي تلقاه ، مما يدعو دوما وبشكل ملح وفوري بناء الحزب الطبقي في البلدان الخاضعة . وتبدت حصيلته أخرى برزت فيها البروليتاريا قادرة ان تشحذ القوى السياسية الأخرى للمعركة ضد الإمبريالية يدفعها في ذلك نضالها الراديكالي حقا ضد النظام السائد . لهذا كتب لينين في ١٨٩٧ في حمي المعركة ضد الحكم المطلق : « لقد قلنا جهارا ان كل الاشتراكيين الروس يجب ان يصبحوا اشتراكيين ديمقراطيين ونضيف الان ان كل الديمقراطيين الحقيقيين والفعالين لروسيا يجب ان يصبحوا اشتراكيين ديمقراطيين » . (٧)

الم يحن اليوم لكي نقول في وجه الاستغلال والقمع المتعاضمين الذي تتعرض لهما القوميات الصغيرة من قبل الإمبريالية بان المعادين الحقيقيين والفعالين للإمبريالية في البلدان الخاضعة يجب ان يصبحوا شيوعيين ؟ هذه المعادلة وافية في البلدان حيث ما يزال التحرر السياسي من النير الإمبريالي مدرج على جدول أعمالها كما هو الحال في افريقيا السوداء . ولكن هذا التأكيد ينطوي على معنى آخر وان كان مختلفا في بلدان عديدة متزايدة استكملت هذه الدورة واشتد فيها الضغط السياسي على البروليتاريا والطبقات المقموعة وخاصة الفلاحين الفقراء بفعل المساومات المدسوسة التي تمت بين البرجوازية المحلية « المستغلة » والإمبريالية . كما كان شأن الهند الصينية امتدادا الى امريكا اللاتينية

مورا ، وان كان بنسب مختلفة ، بالشرق الاوسط والمغرب العربي . لقد غدا الصراع ضد القمع الإمبريالي في هذه المناطق الشاسعة يفترض صراعاً مرياً حتى الموت مع البرجوازية المحلية بغية رفض كل وجود للإمبرياليات اي بغية تحطيم الرأسمالية مما يفترض نوعاً من المواجهة تدخل المبادئ الشيوعية في هذا الصراع . بيد انه يستحيل ان يتم ذلك الا اذا اثبتت الطبقة العاملة نفسها كطبقة اي الا اذا تشكلت في حزب طبقي مستقل ببرنامج وبركيزته التأسيسية التي عليها ان تسترشد بخيرة نتائج النظرية الماركسية .

والحال ان « اليسار الشيوعي » الإيطالي بالتحديد، يستطيع وحده اليوم ان يضع امام الصراع البروليتاري ماركسية « لم تمرغ بالاحوال » . فمن المؤكد ان اسهامه بالامس في الحركة الشيوعية الاممية كان يوفر امكانيات تكتيكية لغرب متقدم ذو ديمقراطية مسنة في حين كان ندى الاممية مصنفا تكتيكا لتجارب بلدان الرأسمال الفتى .

غير انه يغدو من المستحيل اليوم العودة الى المكتسبات الكبرى لاممية لينين ، ان كان في بلدان الرأسمالية الفتية والخاضعة ام في بلدان الرأسمالية الهرمة والإمبريالية ، دون الاسترشاد باليسار الشيوعي الإيطالي ، بتقاليد ، بمنهجه ، ودون تبني دروسه التاريخية في سنوات الاندثار المساوية ، سنوات الثورة المضادة

ان اختفاء الشيوعية الألمانية لروزا لوكسمبورغ وليكنخت وابداء الحرس البلشفي القديم وتراجعات تروتسكي* - لا نتحدث عن ورثته

★ اذا لم يتمكن تروتسكي ، كقائد تيار كان له تاريخه العريق في مقاومة انتصار الستالينية . من ان يتقدم بصيغة مكتملة حول الطبيعة الاقتصادية لروسيا ، فمن الواضح ان التيار التروتسكي . الذي يدعي انتماءه اليه - او بالأحرى انتمائه لاخطائه واستثناءه لمواقفه الماركسية الثورية - ، فقد انحط بالاشتراكية شأنه شأن الستالينية الى مجرد تأميم للمصانع . تحت ستار دخان « رقابة عمالية » مشوهة تماما وتحت ستار « اقتصاد بروليتاري » خيالي . وقد احوال هذا التيار في نفس الوقت دينكتورية البروليتاريا الى ديمقراطية برجوازية صغيرة مبتذلة بعد ان ألبسها ثوبا تنكريا من الجمل المخادعة على غرار « ديمقراطية عمالية » ولقد أفرغ الاممية من كل محتوى بروليتاري فيما يتعلق بالسياسة الاممية وأحوالها الى ستار يخفي تحت طياته تأرجحه بين الانطباع امام الحملة الليبرالية حول « حقوق الانسان » والاصطفاف خلف الإمبريالية الروسية بحجة الدفاع عن الاشتراكية . فلا يمكن للاممية التروتسكية المزيفة ان تكون اذا ، على صعيد الحزب . سوى اتجاه فدرالي جبان على شاكلة الاشتراكية - الديمقراطية .

الذين اخلوا به بصورة فائقة — قد تركت اليسار في النهاية المدافع الوحيد في الساحة عن البرنامج الشيوعي الكامل وعن المبادئ الشيوعية الثورية . ذلك يعود الى كونه التيار الوحيد من بين مؤسسي الاممية الذي ناضل حتى النهاية ضد انحلال الاممية تحت ضغط القوى المعادية **ونلك بتمسكه بمبادئها الحقيقية** ، ويعود لكونه وجد نفسه بفضل تجربة الظروف النضالية في بلدان الديمقراطية المسددة متمكنا من تقديم **مادة تكتيكية تسهم بوضع اطر للنشاط** كفيلا بان تحصن الحزب من الانتقاض عليه وتشويهه .

لقد تجلّت المأساة في عجز الحركة ، في ألمانيا وفرنسا بالتحديد عن بناء احزاب شيوعية صلبة قادرة ان تمد يد المساعدة للبلاشفة وفي القمع الهائل الذي فرضته عطفًا على ذلك الرأسمالية الوطنية الروسية والامبريالية العالمية بحيث تمكنتا في النهاية من الاممية واستطاعتا تشويبهما وافرغها من محتواها وجرها في الحرب الامبريالية . لقد غدا لزاما منذ ذلك الحين ان نضع على عاتقنا العمل الهائل لاعادة نظرية ، مبادئ ، تكتيك ، وتنظيم الشيوعية وغدا لزاما ايضا اعطاء رؤية لنشاط الحركة الشيوعية في مرحلة تاريخية دشنتها هزيمة الحركة البروليتارية ، الحرب العالمية وانتصار الدول العملاقة الكبيرة برأسمالها الذي تزداد توتاليتارية وان تمت ضمن اشكال ديمقراطية ، وغدا لزاما اخيرا التأكيد بان استئناف النضال الطبقي سوف ينجم عن أزمة جديدة ، بعيدة ولكن حتمية للرأسمال ، لن تتمكن قبلها دورة التحرر الاستعماري التي تنمو انطلاقا من مركز الدائرة الآسيوية ، من تلقي دعم الحركة البروليتارية في الميتروبولات الكبرى هذا العمل الذي وضعه اليسار الإيطالي على عاتقه وصاغه في نصوص الحزب الكلاسيكية التي صدرت في فترة ما بعد الحرب ، مثل **الموضوعات الأساسية للحزب (٨)** الذي يشكل جزء من التراث الذي لا غنى عنه في بناء فروع جديدة للحزب سواء في البلدان الخاضعة للامبريالية ام في بلدان المتروبولات الرأسمالية . غير انه يبقى مطروحا انجاز عمل واسع وعظيم يقوم على دفع نمو الحزب الطبقي في بلدان الرأسمال المفتي وهذا يقتضي استخلاص دروس اممية فعلية من النضالات التي شغلت مرحلة مد حركات التحرر الوطني . فيمكن هكذا للحركة الشيوعية ان تقرسمل بالغريزة الثورية الرائعة التي قدمتها هذه النضالات المضادة للامبريالية الى البروليتاريا الفتية في العالم الثالث ، وهو عمل يقتضي مزيدا من التحديد للامكانيات التكتيكية للحركة البروليتارية بالصلة مع التجربة التاريخية الماضية للحركة

البروليتارية وتقييم مدى الثقل الامبريالي وعاقبته على نهج القوى السياسية في هذه المناطق الجغرافية الشاسعة .
يبقى ذلك مسألة حيوية ليس فقط في المناطق الجغرافية حيث ما يزال التحرر الوطني والمجاهة السياسية مع الامبريالية والطبقات القديمة مدرجا على جدول الاعمال، ولكن خاصة وبشكل سريع قدراتها النضالية ضد النظام السائد البرجوازية فيها وبشكل سريع قدراتها النضالية ضد النظام السائد وتركت للبروليتاريا ارث تحمل المهمة التاريخية بالتعكرز على عصا «حرب الثورة البرجوازية» بكل تحفظها ونقصها ، لا بل على الخيانات الفعلية للثورة الوطنية الديمقراطية ، فيما يتعلق بالتحديد بالمسألة الزراعية المشحونة بمواد متفجرة ومدمرة ، وفيما يتعلق ايضا بمجال اكثر تواضع ولكنه مع هذا حيوي ، هو الصراع الهادف لان ينتزع من العدو بالقوة الحريات السياسية الاولية للتجمع ، للتحريض وللاضراب الخ .. بغية تسجيل اهداف في النضال ضد الطبقات المسيطرة وضد الامبريالية .

الحزب الشيوعي هو بالضرورة أممي

كان يمكننا بدل ان نعد الى بحث طويل ، ان نقف عند حد تبين بأن ولادة الماركسية انبثقت من كتلة واحدة هي بمثابة نظرية للانعقاد البروليتاري ، وان نقدم من ثم برنامجها ومبادئها لنخلص الى القول بأنها نظرية صالحة لكل المناطق الجغرافية ، غير انه يبدو لنا ضروريا ان نرد على الاعتراض الذي تصبح الماركسية تبعا له نتاج الرأسمالية المتطورة (٩) ولا يمكن بالنتيجة تطبيقها في مناطق الرأسمالية المتأخرة والخاضعة . (المتخلفة التابعة)

يمكننا بسهولة ان نرد الحجة بالقول ان منظور الثورة مزدوجة الذي اعطاه ماركس لمانيا في عام ١٨٤٨ كان بالضبط المنظور الذي يربط بين مناطق اوروبا الوسطى التي كانت حينها متخلفة ، والمنطقة المتقدمة اقتصاديا في انكلترا ، والمتقدمة سياسيا في فرنسا ، فالنظرية الماركسية انبثقت بالتحديد من المانيا هذه ، التي كانت غارقة ذلك الحين في ظلمات التخلف والاقطاع .

ويمكننا كذلك الاشارة بأن هذا المنظور للثورة المزدوجة كان قد تحقق بجزء منه وبشكل دقيق في سنوات ١٩١٧ - ١٩٢٣ مع استيلاء الحزب الشيوعي على السلطة في بلد اوروبا الاكثر بربرية ، مدعما بذلك وموضحا مقولة خالدة لليسار الايطالي **بأن الماركسية هي نبتة تتعرعرع في كل المناخات** . فقد تم استيعابها على اكثر ما يكون من ارتششاف وجاس وعمق في البلد الاشد آسيوية في اوروبا والاشد التصانفا بأعقاب الاستبداد البيروقراطي الهدام ، في حين كانت مغفلة او مشوهة من قبل الاحزاب العمالية الكبرى في اوروبا الديمقراطية والمتحضرة وذلك عند مطلع القرن العشرين من عصر الامبريالية الصاعدة .

غير اننا ندرك بأن هذه الحجج عاجزة اليوم عن ايقاف موجة حماقات وتعديات يستخدمها قوادون موسكو فيون ، او اوروبيون ضد النظرية الشيوعية . فقد كان هؤلاء الماجورون التمساء في خدمة الكذب والتزوير ، بحاجة لابتداع « الماركسية اللينينية » « وفكر ماوسي تونغ » ،

كما لو ان الماركسية كانت جد « مأوربة » وبحاجة للتأقلم الجغرافي والحال انها قد كانت عموما قليلة « التأورب » لدرجة ان ما يدعى بالاحزاب الشيوعية الاوروبية اضطرت لابتداع كلمة « اوروباوي - شيوعي » لتمرر تليفقاتها الاصلاحية الشرعية الشوفينية والامبريالية . ان الامر يتعلق في الواقع بنظريات غريبة كلية عن الماركسية ، تلجأ تحت ستار رايتها ، لاختفاء تخليها عن المبادئ الماركسية والتوقع بأفق بورجوازي وطني عبر عن ثورات عظيمة كانت قد عصفت انطلاقا من روسيا بمناطق آسيا ومن ثم بكل القارات الخاضعة للنير الامبريالي . وهكذا فان منظور الثورة المزدوجة الذي وضع لمانيا عام ١٨٤٨ وكان صالحا ليربط في استراتيجية اممية واحدة ، الحركة البورجوازية الثورية في البلدان المتأخرة ، والحركة البروليتارية البحتة في البلدان المتقدمة ، قد حولته الستالينية الى « ثورة على مراحل » في مقسولات منشفية خالصة ، وحولته الماوية الى ما يدعى « الثورة الغير منقطعة » « وعلى مراحل » فكانت كالاخرى متوقعة كليا باطارها الوطني .

عودة اخرى الى الكلاسيكيات

لقد ابرزت الماركسية الثورية على الدوام ، الطبيعة الاممية للفكر الماركسي الذي انجس كلية **كنظرية عالمية** ، بالرغم أن القوة التي كان بإمكانها التمسك بنظريتها ، راية وسلاحا نضاليا ، لم تكن توجد حينذاك الا في اوروبا الصناعية . وليس هذا المفهوم تعميما او تطورا للماركسية على الاطلاق بل هو بالضبط **مفهومها في الاصل كما اكده بيان ٤٨** وركزه بحجج لا تدحض .

وهكذا فان ماركس وانجلز قد كرسا حيزا واسعا ليستعيدا في موجز لاربعة قرون من التاريخ بان الرأسمالية لا يمكن ان يتمم تكونها الا انطلاقا من تحقق عدة شروط اقتصادية ليست محلية بمكان بل هي حقا عالمية. فهما يشيران **في البيان**، بأن الاكتشافات الكبرى والصلة بين كل انحاء العالم مع اتساع الطلب الذي اتاحته قد الزم تجاوز شكل الانتاج القديم للصناعة الحرفية داخل المحارف ، عبر المانفكتورة ومن ثم عبر الصناعة الكبرى . وهكذا فقد تم تجريد منظري الاشتراكية في بلد واحد ، من كل سلاح نظري حتى قبل ان يروا النور . فلم يحدث مطلقا ان تحققت اشتراكية ، بل حتى رأسمالية في بلد واحد .

نجد انفسنا هنا مدفوعين للاستشهاد بالمقطع التالي من البيان .

« تكتسح البرجوازية الارض بأسرها مدفوعة بحاجتها السي

اسواق جديدة . فلا بد لها ان تعشش في كل مكان ، وان تستغل في كل مكان ، وان تقيم العلاقات في كل مكان . اعطت البرجوازية ، باستغلالها الاسواق العالمية ، طابعا عالميا لانتاج جميع البلدان واستهلاكها . ورغم اسي الرجعيين العميق انتزعت البرجوازية من الصناعة قاعدتها القومية . فالصناعات القومية القديمة دمرت ، ويلحق بها يوميا مزيدا من الدمار . وحلت محلها صناعات جديدة اصبح تبنيها ، من جميع الامم المتحضرة ، مسألة حياة او موت ، ولم تصد هذه الصناعات تستخدم المواد الاولية المحلية ، بل مواد اولية آتية من اكثر المناطق بعدا ، وتستهلك منتوجاتها لا داخل البلد فحسب بل في جميع انحاء العالم . وعلى انقراض الحاجات القديمة التي كانت تلبسها المنتوجات الوطنية ، تلد حاجات جديدة يتطلب اشباعها استيراد منتوجات البلدان والاقاليم النائية . وعلى انقراض الانعزال القطري والقومي القديم ، القائم على الاكتفاء الذاتي ، تنمو تجارة عالمية وتبعية متبادلة بين جميع الامم . وما هو صحيح بصدد الانتاج المادي لا يقل صحة بخصوص الانتاج الفكري . فالاثار الفكرية لامة ما تصبح ملكا مشتركا لجميع الامم . ويغدو قصر النظر والتفوق القوميان مستحيلين اكثر فاكثر . ويولد من مجموع الآداب القومية والقطرية ، ادب عالمي « . (١٠) هذه السطور بلفت من العمر ١٣٠ عاما ولكنها ما تزال اليوم فتية .

فالماركسية اذ تؤكد ذاتها بكليتها كظاهرة اهمية لا تقوم سوى باستخلاص هذا التطور ذو الاتجاه الثوري الواحد . فهي لا تتصور الشيوعية الا بما هي شيوعية الجنس البشري بكامله ، اذ لا يمكن ازالة الراسمال والريح ، والاجر وقوانين السوق الا على الصعيد العالمي . الم يعط وقوع حربين عالميتين وثالثة تنضج على النار ، الدليل القاطع بانه لا يمكن للمجتمع ان يستمر في تحمل النير الراسمالي والانتقام الى قوميات ، دون اندح الكوارث ؟ « فلقد غدت العلاقات البرجوازية ، كما نقرأ في البيان — ايضا — اضيق من ان تستوعب الثورة التي انتجتها » . ولكن السبب الآخر الذي يحيلنا الى دراسة شروط ولادة الراسمالية التي هي شروط عالمية هو ان تمركز وسائل الانتاج في المانفكتورة كان يفترض تراكما للرسميل ساهم به بقسط كبير اجتذاب كل ثروات البلدان المتعرضة لنهب اوربوا المتحضرة . وقد كتب ماركس في الراسمال منددا : ان اكتشاف القارتين الأمريكيتين المتجتجتين للذهب والفضة واخضاع السكان الاصليين للرق وطهرهم في المناجم او ابادتهم ، وبدايات غزو الهند الشرقية ونهبها وتحويل افريقيا الى ما يشبه الوكر

التجاري لاصطياد ذوي الجلود السوداء . تلك هي الوسائل المنشودة للتراكم البدائي التي ميزت المرحلة الراسمالية في فجرها (١١) فالراسمالية لا يمكن في الواقع تصورها منذ البداية دون نهب ثروات العالم اجمع .

واذا لم يكن نمط الانتاج بحصر المعنى قد تطور الا في انجلترا ومن ثم في اوربوا القارية فذلك يعود لكونها المنطقة الوحيدة التي حملت دون غيرها الشروط الاجتماعية المسبقة للانتقال الى الصناعة الحديثة ولا يقتصر الامر هنا على عامل تمركز الرسميل بل على العامل الاخر للتبادل اي العمل الحر ، نتاج تحلل العلاقات الاقطاعية وتراص البروليتاريا في المدن الكبرى دون مقر ولا ماوى . فاذا استطاع الراسمال ان ينمو في اوربوا فقد تم ذلك بعرق ودماء شعوب العالم اجمع .

زد على ذلك بأن تفوق نمط الانتاج الراسمالي الذي يحمله على ابتزاز الآخرين عبر مجرد لعبة القوانين الاقتصادية العنيفة ، يؤدي لان يتم توسع السوق العالمي ومركزة ثروات الارض على صورة الراسمالية البيضاء تماما وان يتم لها بالتالي السيطرة على الشعوب الاخرى . ويورد البيان في هذا الصدد : « بالاتقان السريع لادوات الانتاج ، وبالتحسين الدائم لوسائل المواصلات ، تجر البرجوازية الى تيار الحضارة حتى أشد الامم المهجية . اما رخص منتوجاتها فيظل المدفعية الثقيلة التي تدك بها جميع الاسوار الصينية ، وبها ترغم على الاستسلام أشد المهج مراسا في عداء الاجانب ، وتقود قسرا جميع الامم ، تحت طائلة الهلاك ، الى تبني نمط انتاج البرجوازية ، وترغمها مهما ابت ، على ان تصبح برجوازية . وباختصار فهي تخلق عالما على صورتها . لقد اخضعت البرجوازية الريف لسيطرة المدينة وأنشأت مدنا هائلة ، وضخمت تضخيمًا مذهلا سكان المدن قياسا الى سكان الارياف ، وبذلك انتزعت جل السكان من بلادة الحياة القروية . مثلما اخضعت الريف للمدينة والبلدان المهجية وشبه المهجية للبلدان المتحضرة ، طوعت الشعوب الفلاحية للشعوب البرجوازية والشرق للغرب » .

لقد ادعى الديمقراطيون الرجعيون في محاولة منهم لانعراغ الماركسية من محتواها الاممي بأن تقرظ ماركس وانجلز للبرجوازية في البيان يتضمن تواطؤا مع الجرائم الكولونيالية والامبريالية التي ارتكبتها البرجوازية الاوربية ويندرج ضمن راية اوربواوية ذاتية فيما يشبه « عودة المسيح المنتظر » . ومن الطبيعي انهم ارتكروا في طرح موضوعاتهم على حدث مادي وتاريخي لا جدال فيه البتة ، هو خيانة حركات التحرر الوطني والاجتماعي ، والدفاع عن الامبريالية الذي قامت

تحرير الانسانية بأسرها من كل استغلال اقتصادي ، وكل اضطهاد اجتماعي وسياسي .

ليس « المديح » الذي تحويه الماركسية للراسمالية اذا مسوى ايات تكبر لعدو تدعو الى صليبه حربا شعواء حتى الموت . فالماركسية عندما تقوم على السواء بفضح البؤس الذي تتعرض له الطبقة العاملة . وبؤس الشعوب الخاضعة لا تفعل ذلك من أي منطلق اخلاقي فنحن نقرأ في الراسمال : « وفي الوقت نفسه الذي أدخلت فيه الصناعة القطنية إنجلترا ، استرقاق الاطفال ، كانت تحول ، في الولايات المتحدة ، معاملة السود البطيركية ضمن حدود متفاوتة ، الى نظام من الاستغلال السوقي (التجاري) . اجمالا فقد كان الرق المكتشوف في العالم الجديد ، لازما كقاعدة الاسترقاق الاجراء المستتر في أوروبا » .

ذلك رد كاف لنفنتهي من الادعاءات التي ينشرها مبتدعو الطررق الجديدة نحو شيوعية خاصة بالعالم الثالث . لقد كان للماركسية ، منذ البداية نظرة شمولية جمعت ضمن رؤية ثورية واحدة ، سواء انتفاضة بروليتاريا الميتروبولات ام انتفاضة الجماهير الغير بروليتارية . فكلهما موثقان بنفس السيد ، الى ان ينتهي اجل الراسمالية ، وذلك مهما اختلفت طبيعتهما ، التي تتوقف ، على مقدار ما تدفع السيطرة الراسمالية الى تطور السوق تدريجيا ، وتحول العبد الكولونيالي الى نصف بروليتاري ، او في النهاية الى بروليتاري عصري ، وفق سرعة تتغير حسب المناطق الجغرافية .

كذلك فان الديمقراطيين البرجوازيين الصغار الذين تقياتهم الشيوعية ، يخفون بحرص عن البروليتاريين بأن ماركس وانجلز قد حيا في ١٨٤٨ - ١٨٤٩ الثورة الكبرى التي عصفت بالصين ابان حروب الافيون المجرمة ، حيث كان للغرب المتحضر ، فرصة للتعبير عن عمق بربريته ، واعتبراها نتاجا ثوريا حقيقيا ، للتغلغل الاوروبي . وقد كانا يتوقعان من انتصار الثورة العصرية في الصين نفسها ايقاظ البروليتاريا الاوروبية من هزيمة سنوات ٤٨-٤٩ ، مثلما انتظر حزبا بقلق ، خلال السنوات الثلاثين الاخيرة من السلم الامبريالي البغيض ومن هزيمة الحركة البروليتارية ، ان تؤدي الحركة الاجتماعية العظيمة ، التي عصفت بآسيا ، واعطت صداها في افريقيا ، وامريكا الجنوبية ، الى ايقاظ بروليتاريي أوروبا وامريكا الشمالية من السبات العميق الذي اغرقتهم به الثورة المضادة السنالينية ، ومن حالة عدم الاكتراث التي نمتها داخلهم الاحزاب العمالية الاشتراكية الامبريالية تجاه صراعات التحرر الوطنية .

به . في البدء موجة الانتهازية الاشتراكية الديمقراطية ومن ثم موجة الانتهازية الستالينية . ان النتائج الفادحة لهذه الخيانة ادت الى حفر هوة عميقة ليس فقط بين بروليتاريا المراكز وبين الجماهير المستغلة في القارات الملونة ولكن ايضا بين الطبقة العاملة في مختلف البلدان ، وذلك بأن فقتت الطبقة واحالتها الى مجرد جمهور . غير انه لدينا اليقين بأن مسيرة الراسمالية نفسها تخلق ظروفنا ايجابية لاستعادة شاملة للصراع الطبقي يناضل حزبا من اجلها بعناد كما اننا نعرف حق المعرفة ايضا بان امكانية الماركسية في ان تثبت قدميها من جديد كنظرية للبروليتاريا الامية يتوقف بجزء مهم على عودة الطبقة العاملة في البلدان الامبريالية الى صراع مفتوح ضد الدول الكبرى المستغلة والمضطهدة في العالم بأسره . في الواقع لم تكن خيانة احزاب الاشتراكية ، الديمقراطية والستالينية من بعدها معشنة في الماركسية شأن الدودة في الثمرة . أي لم تكن هذه الانتهازية من عود الماركسية .

ولنعد عمليا الى البيان . فالشيوعية التي حيت واقع **انتزاع الراسمالية لجل السكان من بلاد الحياة القروية** ، قد حاربت في نفس الوقت **اخضاع الريف للمدينة** . ان هدفها بالتحديد هو ازالة التقسيم بين المدينة والريف .

وعندما حبت الشيوعية - على نفس المنوال - **دك الراسمالية الثورية بالعنف لجميع الاسوار الصينية** ، وربطها فيما بينها سائسر اجزاء العالم وادخالها علاقات الانتاج العصرية في كل مكان ، ادانت في نفس الوقت **تطويع الشعوب الفلاحية للشعوب البرجوازية والشرق للغرب** . وقد جعلت برنامجها خلاص المجتمع البشري بأسره مما يعني ردم الهوة بين البلدان « المتحضرة » والبلدان « المهجينة » التي ستنتهي على يديها الجذور الاقتصادية للاضطهاد القومي : « **ازيلسوا استغلال الانسان للانسان فتزيلوا استقلال امة لاخرى** » .

ان مفتاح الموقف الثوري الجدلي العميق للماركسية ، حتى وان بقي دائم الغموض امام روح البرجوازي الصغير الرجعي ، هو التالي : تنجز الراسمالية تاريخيا مرحلة تقدمية بالنسبة لانماط الانتاج السابقة ، حتى وان شقت طريقها وسط بؤس وآلام مذهلة ، فان نموها يوفر على السواء الركائز الاقتصادية للشيوعية وصانع تدميرها بالعنف ، البروليتاريا . فان هذه الاخيرة بالتحديد تصقل في طبقة عبر صراعاها ضد نتائج كوارث الراسمالية ، ضد بؤسها وبربريتها واضطهادها ، ان هذا الصراع يجعلها قادرة ان تحارب ايضا مصدر آلامها ، الراسمالية ، مستخدمة القوة التي توفرها لها هذه الاخيرة ، رغما عنها ، بغية

اتجاه « تجريد البروليتاريا من كل طابع قومي » . فالطبقة العاملة هي طبقة اممية ، وثورتها ثورة اممية لذا لا يمكن لعلم انعتاقها النظرية الشيوعية ، ولا لحزبها ان يكونا الا اميين في طبيعتهما . لهذا اطلق بيان الحزب الشيوعي المرحخة الشهيرة « يا عمال العالم اتحدوا » التي عبرت عن امتلاك ذلك الحزب لنظرية واحدة ، لبرنامج واحد وعلم واحد لكل البلدان . كانت الاممية الشيوعية قد كتبت منذ ٧٢ عاما في بيان اذار ١٩١٩ : « ان الحزب الشيوعي يبرز للعالم برنامجا الذي صاغه اكبر دعاة الثورة البروليتارية ، كارل ماركس وفريدريك انجلز (١٢) . فالبروليتاريا بحكم طبيعتها هي طبقة اممية يدعمها في ذلك ظروف حياتها ، عملها ونضالها لذا لا يمكن ان يتحقق تحررها الا على الصعيد الاممي وقد اكد نداء العصبة في ١٨٥٠ بانه « من مصلحتنا ومن مهامنا ان نجعل الثورة دائمة الى ان نطرد من السلطة جميع الطبقات التي تمتلك ملكات بدرجة او باخرى ، والى ان تستولي البروليتاريا على السلطة ، والى ان يحقق مجموع البروليتاريين ما فيه الكفاية من التقدم لا في بلد واحد فحسب بل في جميع بلدان العالم الهامة . (١٣) . فالامر يتعلق هنا ، ببرنامج عالمي واحد ذلك ما جعلته نينا بعد اممية لينين مهمتها الرئيسية .

في سبيل حزب عالمي واحد

لقد اصبح في حوزة الطبقة العاملة برنامجا امميا . فيغدو لزاما عليها ان تتخذ تنظيما امميا . انما نريد ابرازها هنا هو ان تاريخ الحركة الشيوعية الذي يبدأ مع البيان يعطي الدليل بان التنظيمات التي اتخذتها البروليتاريا تباعا بدا طابعها الاممي متطورا في كل مرة عن الاخرى وان كان في الشكل وليس في المحتوى الذي وجد قبلا . اي انها كانت ملزمة بأن تظهر في كل مرة اكثر مركزا وانضباطا وان تحد دوما من استقلالية مختلف الفروع الوطنية .

لقد كانت عصبة الشيوعيين من حيث الشكل سبقا رائعا وسخيا للحزب الاممي ، لقد جمعت بسرعة اعضاء من قوميات متعددة واستنسخ الشعار القديم « كل الرجال اخوة » على بطاقات اعضائها في عشرين لغة على الاقل ، وذلك بالرغم من وقوع بعض الاخطاء هنا وهناك كما يلاحظ انجلز . ولكنها لم تتجذر فعليا الا في صفوف الطبقة العاملة الالمانية ، فقد كان لجلسها العام في ذلك الوقت علاقات متينة مع شارطبي اليسار في انجلترا « هذا الحزب النوري المستقل » وفق تعبير ماركس ومع الثوريين

فالبرجوازيون الصغار الديمقراطيون والرجعيون الذين يزرعون بكل ثقلهم ، للوقوف عنرة امام تشكل الحزب الطبقي ، وبالتالي امام تغلغل الماركسية الى كل القارات ، يخفون بعناية ، واقع ان الشيوعية في القرن الاخير كانت افضل المدافعين عن قضيتي استقلال بولونيا وايرلندا ، واعتبرتهما مرتبطتين بوثوق بقضية الانعتاق البروليتاري . فاستقلال بولونيا ، كان يستمد اهميته من حيث ان انتصار اية ثورة في اوربا ، كانت قضية محبطة ، طالما لم يتم تدمير كلب الحراسة الروسي . واكتسب استقلال ايرلندا اهميته لكون قمع وشلل البروليتاريا الانكليزية — هذا ما زال صحيحا في يومنا هذا — يتغذى من القمع السياسي لايرلندا ، ولان انتصار ايرلندا سيكون عوننا ثمينا ، لنضال البروليتاريا الانكليزية — مما يظل صحيحا ايضا في يومنا الحاضر بالنسبة لاولستر . فالماركسية تمتلك اذا بشكل مجمل استراتيجية واحدة ، تربط على الصعيد الاممي ، كل القوى القادرة على محاربة النظام السائد . ومن الطبيعي ان تحتل البروليتاريا ، قلب هذه الاستراتيجية ، لانها الطبقة الوحيدة الاممية حقا . فكما بين البيان : « ان استرقاق الراسمال الحديث للعامل سواء في انجلترا او في فرنسا ، في امريكا او في المانيا ، جردا البروليتاري من كل طابع قومي » . اما ان يقتصر تمركز البروليتاريا (في القرن العشرين) على اوربا وامريكا ، فلا ينقص شيئا من طابعها كطبقة اممية . فهي تنمو حيث ينتشر النسيج الراسمالي (مصدر وجودها) . فعلاقات الانتاج الراسمالية امتدت الى اصقاع الارض . بحيث ادت حركة التحلل الامبريالية ، حتى في المناطق الجغرافية الاكثر تأخرا ، من حيث التطور التاريخي ، ليس الى دفع قطاعات كاملة من المجتمع في دوامة الاقتصاد العالمي فحسب بل ارتقت بهذه القطاعات الى مستوى الراسمال العمري ، وان بطريقة غاية في التناقض وفي التشويه ، وبالتالي مؤلمة بشكل فظيع . ولكن ميدان القتال والمجابهة بين البرجوازية والبروليتاريا ، قد امتد مذاك ، ليلعب سائر انحاء الارض ، واجتاز عمليا كل البلدان . وحتى لو برزت البروليتاريا ضمن هذه المجابهة بمستويات مختلفة من التطور باختلاف المناطق الجغرافية فان هذا التناقض الطبقي ما يروح يتولد — على مستوى المناطق ايضا — فسي معمعان صراع البرجوازية من اجل انعتاقها .

بالاضافة الى ذلك ، يتوق ميدان القتال هذا ، الى التناقص اكثر فاكتر تحت تأثير الهجرات السكانية الكبرى ، التي يدفع بها الراسمال . هذا الاخير يتيح احتكاكا ، دائم التنامي ، ولو على حساب اشد انواع البؤس والاضطهاد بشاعة ، بين عمال مختلف القوميات معمقا بذلك

الفرنسيين « الحزب البروليتاري الفعلي ، بزعيمة بلانكي » .
بالإضافة الى ذلك فقد غدت العصبة بعد ان تجاوزت شكل جمعية سرية ومتمامرة ، مجرد جمعية تحريض على الاقل في الظروف العادية، ولكنها لم تتوصل ان تصبح منظمة سياسية كفاحية وذلك رغم محاولة ايار ١٨٥٠ لاعادة تنظيمها . (١٤)

وقد انحلت في ١٨٥٢ ابان الثورة المضادة التي لم تترك لها مجالاً سوى العودة الى شكل منظمة سرية بعد ان نخرتها الاتجاهات الانتقالية انها لم يكن يعني ذلك نهاية التنظيم العمالي سواء على الصعيد الاقتصادي ام السياسي في مختلف البلدان بحيث ان دورها بات يقوم على تجميع كل التنظيمات الطبقية . - في مرحلة يؤدي فيها الوقوف على هذه الارضية مباشرة، الى مجابهة عنيفة مع الدولة - وذلك لكي يمكنها التوصل في معمران الصراع المشترك الى توحيد النظرية والممارسة عبر تجاوز التعارض بين النضال الاقتصادي والنضال السياسي لتجعل من الاول رافعة للثاني وتتوصل الى اجتياز العراقيل القومية بين التنظيمات القائمة . وهكذا فان انظمة جمعية الشغيلة العالمية التي استعادتها الاممية الشيوعية بعد ٥٦ سنة قد اكدت:

بان التحرر ليس مشكلة اجتماعية تشمل جميع البلدان التي يوجد فيها النظام الاجتماعي الحديث ويتعلق حلها بالتعاون النظري والعملي بين البلدان الاكثر تقدماً ، ان التجديد الحالي في الحركة العمالية في وقت واحد في بلدان اوروبا الصناعية يوقظ في نفوسنا آمالاً جديدة من جهة لكنه من الجهة الاخرى يشكل لنا تحذيراً صارخاً من الوقوع في الاخطاء القديمة ويدعونا الى تنسيق فوري للحركة التي بقيت فاقدة التماسك حتى الان (١٥)

وقد قضى « التعاضد الساذج » للفرق تحت ضربات كومونة باريس التي اكدت ولادتها شأن سقوطها في جميع نقاطها سائر مبادئ الماركسية واحالت منذ ذلك الحين دون اي انضباط مشترك مع البرودونيين - والفوضيين بالتحديد . فقد جاء في نقد برنامج غوتا على لسان ماركس لقد كانت فقط المحاولة الاولى لتزويد الممارسة الاممية للطبقة العاملة بجهاز مركزي ، محاولة كان لها استمرارية دائمة بفضل الدفع الذي امدته ولكنها غدت عاجزة عن الاستمرار طويلاً في شكلها التاريخي الاول بعد سقوط كومونة باريس . (١٦)

اما الاممية الثانية التي رأت النور في ١٨٨٩ فقد تشكلت ايضاً كجهاز اممي مكلف بربط عمل مختلف القوميات التي تمتلك برنامجاً وتقاليداً مثل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني ، ومختلف الاحزاب في فرنسا التي شكلت ، كذلك منظمات متعددة من كل البلدان الرأسمالية تقريبا .

ان الانتهازية التي ترعرعت في الاممية الثانية قد عمقت الاتجاهات الانقسامية في قلبها واحالتها الى عمل فدرالي ، بدل من ان يتوصل الحزب الى خلق انسجام مضطرب في البرنامج والتكتيك على الصعيد الاممي . وقد اظهر افلاس الاشتراكية الديمقراطية في آب ١٩١٤ حيث سقطت الاغلبية الساحقة من الفروع القومية في احضان الاشتراكية الوطنية، بأن التيار الانتهازية يخفي ، خلف اصطفاف كل فرع وراء دولته، موقفاً نظرياً وسياسياً أممياً بالفعل ، وهو موقف يقتضي - على اعتبار الدول الرأسمالية متنافسة فيما بينها - غياب المركزة الاممية الا حينما تستدعي الحاجة محاربة الثورة .

واما الاممية الثالثة فقد تشكلت من تيارات كان لها تاريخها النضالي في التصدي للخيانة، الاصلاحية وكانت قد وضعت على عاتقها تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية . وقد اوجب عليها ذلك ان تفرض برنامجاً اممياً واحداً على كل فروعها الناشئة من تيارات يسارية كانت لها تقاليد النضالية الخاصة في قلب الاممية الثانية . اتت لتضاف اليها فروع قومية عديدة تشكلت في كل القارات او بشكل ايسر في البلدان المتقدمة .

لقد فشل اتجاه الاممية الشيوعية في ان تغدو «حزباً شيوعياً اممياً حقيقياً» وفق عبارة رئيسها زينوفيف، بالرغم من كل الجهود التي بذلها البلاشفة ، الذين اسدى اليهم اليسار الشيوعي الايطالي كل الدعم باصطدامه مع الاتجاهات الانشقاقية المستقلة للاحزاب الغربية في فرنسا ومانيا بالتحديد . وقد استند هؤلاء على مسألة عدم حزم الاممية امرها في مسألة التكتيك ، التي ظلت خاضعة للنقاش ، وذلك ليدفعوا في زمن الانحسار الثوري والعزلة المأساوية للثورة الروسية والبلاشفة ، الى تكتيكات اتاحت حدودها الغير واضحة بالتحديد، مداخلات انتهازية دائمة الاتساع ، واستخدمت كرافعة للقوى الوسطية والرأسمالية لافراغ الحزب من محتواه ، وانتق ان حدث ذلك قبل زمن بعيد من التصفية (الحرفية) لبقاياها المتعنتة حينبادلها ستالين في ١٩٤٣ لقاء صفحة طائرات روزفلت في سوق النضالات الديمقراطية والوطنية الحمقاء ، حيث اتموا البروليتاريين بعشرات الملايين لانقاذ الرأسمال .

بيد انه اليوم لا يمكن للمنظمة الجديدة للحزب ان تقف على قدميها من جديد دون استئصال كامل لكل استقلال ، لكل فدرالية ، لكل ارتجال وطني . وهذا ممكن التحقيق بسبب واحد لانه غداً على الحزب ان يتشكل ككل وفي كل نقاطه على البرنامج والمبادئ المنبثقة التي اقترتها اممية اينز، ولكن اينزالان في مقدور الحركة الشيوعية ان تعطي على الصعيد الاممي

مصنفا من القواعد التكتيكية والتنظيمية ، كان لها ان وضعت على محك التجربة المساوية للحركة البروليتارية في سنوات ١٩١٩ — — ١٩٣٧ . لقد قام اليسار الايطالي بانجاز هذا العمل القائم على تعيين حدود التكتيك وليس عليه اليوم اذا ، ان يتدع امكانيات جديدة وقواعد تكتيكية للبلدان المتقدمة ، مختلفة عن القواعد والامكانات التي وضعها البلاشفة للبلدان المتخلفة .

فالمشكلة الوحيدة التي يمكن ان تطرح امام الحزب هي ان يجعل في كلا الجانبين قواعد اكثر صلابة من ذي قبل طالما قد قست الجدران التي ستسمح ولادة المجتمع الذي في طور التكوين .

بالاضافة الى ذلك لم تعد المشكلة التي تطرح على الحزب اليوم ، على الصعيد الاممي ، في ان يضم شمل تيارات تدافع عن التقاليد الشيوعية الماركسية الاصلية لانه لم يبق في الساحة سوى الحزب المنحدر من اليسار الشيوعي الايطالي مدافعا عن البرنامج ، النظرية ، المبادئ والاعراف التكتيكية والتنظيمية التي انبثقت على ضوء التاريخ والثورة المضادة ، اي مدافعا عن الارث النظري الكامل لبعث الصراع الثوري الطبقي . فالفرصة التاريخية المتاحة تكمن اذن في بناء شبكة مركزة للحزب قائمة على هذه القاعدة تحت راية الماركسية الكاملة .

نحن لا نغفل صعوبات مثل هذا المشروع انما لا نعتقد ان هذه الصعوبات تشكل عائق . فهناك في البداية واقعة بانها اذا كانت كل التيارات التقليدية الماركسية قد اختفت بخلاف اليسار الشيوعي فذلك لا يعني انه في المستقبل لن تتوصل مجموعات ثورية هنا وهناك ضمن حدود معينة من استخلاص جزء من الدروس على الاقل التي خلصنا اليها عبر التجارب العظيمة والهزائم البطولية للطبقة العاملة ، وانه لن تطرح بين آونة واخرى مسألة ضم قوى غريبة باصولها عن التقاليد التي انجبت المنظمة الاممية المركزة للحزب .

على العكس فاننا على يقين من ان هذه المسألة ستطرح عاجلا ام آجلا خلال فترة الصعود الثوري . ويتلخص موقفنا من هذه النقطة في ان عملية الضم هذه او بالاحرى هذا التطعيم على جذع تيارنا يمكن ان ينال حظا اوفر من النجاح غدا اذا تم اليوم بناء الشبكة الاممية للحزب على قاعدة الالتزام النواتي ببرنامجه مما سيتيح له اقصى التجانس فيمكن لقاء هذا الشرط فقط لقوى جديدة ان تهضم باقصى سرعة واكتمال ممكنين التراث النظري الجماعي الذي يستحيل عنده اي اعتراض واية مساومة لانه الشرط الوحيد امام الحزب الاممي المقبل ليكون بمستوى مهمته التاريخية .

بيد ان مشكلة اخرى اكثر حساسية توضع على بساط البحث . وهي تتناول مهمتنا بعد خمسين سنة من الفساد والسرطان الاشتراكي الشوفيني في الميتروبولات الرأسمالية ومن اخضاع النظرية الشيوعية لحاجات الامبريالية في ان ندفع للعمل في نفس الحزب وبتناغم متناهي بروليتاريي البلدان المضطهدة والبلدان المضطهدة. فهذا الانتصار في بوتقة واحدة لا غنى عنه من اجل انتصار الثورة الشيوعية .

ونحن على بينة من استحالة هذا الانتصار دون خوض الحزب نضالا حازما في البلدان المضطهدة ضد نهب وتوحش الامبرياليين ضد روح التعالي الوطني والعرقى الذي تنميه البرجوازيات وزبائنتهم في صفوف عمال هذه البلدان . ولكننا نعرف بأن بروليتاريي البلدان المضطهدة الذين قاتلوا وحدهم ضد الامبريالية ، في حين ظل رفاتهم الطبقيون الخارجون من هزيمتهم التاريخية في حالة خبل مشلولين ، مخدرين بأفيون التعايش السلمي والديمقراطية والشوفينية ، سيكون لديهم القدرة في ان يستمدوا من الغريزة الثورية الرائعة التي قدموا البرهان الساطع عنها ، ليسارعوا في استيعاب هذه المهمة الاممية ويساهموا بشكل تام في بناء الاداة الاممية الموحدة والمركزة التي لا بد منها لانتصار الشيوعية .

ففي سبيل التغلب على برجوازية هي اليوم اكثر تمركزا منه في مطلع القرن بفعل امبريالييتها فانه لا يمكن للطبقة العاملة ان تتمثل على الصعيد العالمي الا بمركزة اكبر واقوى ، مرتكزة الى مصالحها الصلبة المشتركة والى وجود برنامج واحد وعلم واحد .

ايستحيل علينا في زمن تضع فيه وسائل المواصلات العصرية كل البلدان على صلة فيما بينها ان نعطي الاداة التي كانت عصبه الشيوعيين سبقا لامعاليها بالامس ، والتي تجعل قلب البروليتاريين الثوريين ينبض بشغف واحد في العالم اجمع ،

هذا الهدف العنظيم يغدو اليوم في متناولنا لنعمل اذا من اجل تحقيقه .

ما يميز به حزبنا

مقدمة

لقد صدر هذا المقال باللغة الإيطالية في جريدتنا « البروغراما كوميستا » (البرنسامج الشيوعي) في عام ١٩٧٦ ، وكان يهدف الى تقديم نبذة سريعة عن المواقف الاساسية التي يميز بها حزبنا وقد تمت ترجمته منذ ذلك الحين الى لغات عدة (الفرنسية والاسبانية والانجليزية والالمانية) ، وقد نشر باللغة العربية في كراس صغير تضمن بعض الايضاحات النظرية تتعلق بالمنطقة التي يتوجه اليها .
اما هذه المقالة فهي تحمل ترجمة جديدة للنص الاصلي .

ما يميز به حزبنا

ان كل عدد من جريدتنا يحمل في صدرته المقطع التالي :

« ان حزبنا يميز بالمواقف التالية :

- × المطالبة بالخط الذي ينطلق من ماركس الى لينين ثم الى تاسيس الاممية الشيوعية والحزب الشيوعي في ايطاليا (ليفورنو عام ١٩٢١) .
 - × نضال اليسار الشيوعي ضد انحطاط الاممية وضد نظرية « الاشتراكية في بلد واحد » وضد الثورة المضادة الستالينية .
 - × رفض الجبهات الشعبية وكتل المقاومة .
 - × الاضطلاع بالمهمة الصعبة التي تقوم على ترميم المنهج والتنظيم الثوريين بالصلة مع الطبقة العاملة وضد السياسة الشخصية الانتخابية » .
- ان هذا المقطع يعطي توجهها اجماليا لخطنا دون ان يلقي على عاتقه

البحث في التفصيلات ولكن مع ذلك فان الخط الذي يتميز به حزبنا يبرز بوضوح أمام القارئ . اننا على العكس من « مجسدي » الماركسية المتعديدين ، نعرف الحزب الشيوعي بخط مستمر وثابت لا يتغير . وذلك لان الحزب الشيوعي يتجاوز الارتفاع والانحدار ويتخطى التراجع والتقدم والانتصارات العظيمة النادرة والهزائم المأساوية المتعددة التي تعترض الطبقة العاملة في طريق نضالها التحرري العسير .

فالبروليتاريا لا يمكنها أن تتشكل كطبقة ، الا بفضل الاستمرارية الدائمة لهذا الخط وهو ليس نتيجة حالة آنية في الزمان أو المكان التي غالبا ما تكون متناقضة مع مصالح البروليتاريا في طور معين من مسيرتها ، بل هو نتيجة الاتجاه الذي يتوجب على البروليتاريا أن تسلكه بالضرورة انطلاقا من وضعها كطبقة دونية ومستغلة ، لكي تصبح الطبقة المسيطرة في جميع البلدان الى أن تتمكن من الغاء كل الطبقات والوصول الى الشيوعية في الطورين الأدنى والأعلى .

فالماركسية قد حددت سلفا الاطوار الضرورية والوسائل التي لا غنى عنها في خط البروليتاريا ، وكذلك حددت الهدف النهائي لهذا الطريق وهو لم يهبط من السماء أو ينبع من بنات أفكار هذا العالم أو ذلك المصلح بل ان نمط الانتاج الرأسمالي نفسه هو الذي خلق شروطه المادية التي لا يمكن ان نتجاوزها حتى النهاية الا عن طريق النضال . ولهذا يقول لينين عند استشهاده بنص ماركس الشهير نقد برنامج غوتا : « ليس ماركسيا ذلك الذي لا يذهب بالصراع الطبقي الى حد الاعتراف بدكتاتورية البروليتاريا كنتاج ضروري لهذا الصراع وك نقطة مرور اجبارية نحو الغاء الطبقات ونحو مجتمع بلا طبقات » .

من هنا فان الاكتفاء باقرار الصراع الطبقي وتناقض المصالح بين العمل المأجور ورأس المال ، يعني في الواقع الاعتراف بماهية البروليتاريا في المجتمع البرجوازي . ولكن الوقوف عند هذا الحد يستبعد الحتمية التاريخية والدور التاريخي الذي تقوم به البروليتاريا لكي تتحرر من الاستغلال الذي يقيدنا في علاقات الانتاج الرأسمالية ، وذلك بأن تقوم البروليتاريا بتحطيم عنيف لسلطة الدولة البرجوازية التي تحمي وتدافع عن نظام العلاقات الرأسمالية من اجل الاستيلاء على السلطة وبناء دكتاتوريتها الخاصة « كمرحلة سياسية انتقالية » في عملية من التحولات الثورية للمجتمع الرأسمالي الى مجتمع شيوعي كما يقول ماركس .
ان استبعاد هذا الدور التاريخي يعني الرضوخ لحالة الاستعباد التي تعيشها البروليتاريا في اطار المجتمع البرجوازي ، وهذا لن يغير منه

الديموقراطية وضد الاستسلام « للحاضر » وضد كل تخذل عن مستقبل الحركة البروليتارية وضد أي تذييل لاهدافها ومصالحها الكلية تحت ستار انبها مصالح آنية ووطنية وكذلك ضد أي تخذل عن طريق الدكتاتورية لصالح طرق أخرى تدعي أنها أكثر ضمانة وأقل صعوبة كالتدرج الشرعي الديمقراطي والبرلماني .

وقد ناضل الشيوعيون للحفاظ على هذا الخط كاملا ليس فقط ضد الضغوطات المادية والسياسية والأيدولوجية للمجتمع البرجوازي، ولكن أيضا لكي ينحتوا دائما بوضوح أكبر خطوطه الأساسية من خلال البراهين الهائلة (المفيدة إذا استطعنا استخلاص الدروس منها) وليبتنموا الطليعة الثورية الكفاحية للطبقة العاملة حول هذا الخط الأحمر ، واعادة ربطه كلما انفصم ، وللاقتضاض كذلك على حصون الدولة الرأسمالية . وقد خاض الشيوعيون هذا الكفاح على مستوى المبادئ والبرنامج وعلى مستوى السياسة والتكتيك والتنظيم في نفس الوقت ، لان الشيوعيين هم مناضلو حرب اجتماعية عظيمة وليسوا دعاة « مذهب ديني » جديد أو رهبانا ينتظرون عودة المسيح .

فهكذا كان صراع ماركس وانجلس داخل الاممية الاولى من أجل تحطيم « البرودونية » التي كانت ترفض النضال المطلبي وترفض الاضراب والتنظيم الاقتصادي البروليتاري ثم من أجل تحطيم « الباكونينية » التي ترفض الحزب والدكتاتورية التي يمارسها مركزيا باسم الطبقة العاملة ومصالحها وكذلك لتحطيم « التضليل البرلماني » الذي كان قد تسرب الى داخل صفوف البروليتاريا عن طريق الوسط الاجتماعي المحيط . وهكذا كان صراع لينين في روسيا ضد « الشعبوية » وضد الاقتصادية والشرعية وضد المنشفية ، وقد كان هذا الصراع على المستوى الاممي ، وبالدرجة الاولى ضد التحريفية الاشتراكية الديموقراطية على شاكلة « برنشتين » ، ومن ثم ضد الاستسلام للحرب الامبريالية . ان هذا الصراع قد خاضه لينين ليس فقط من أجل رفض قروض الحرب والهدنة الاجتماعية أيسان الحرب ، ولكن أيضا من أجل « الانهزامية الثورية » ، وتحويل الحزب الامبريالية الى حرب أهلية ، وقد خاض الشيوعيون هذا الصراع للقضاء على كل وهن وتردد وللتغلب على كل شرعية وكل انتقاسارية وكل تأجيل مستند الى احترام « قوانين اللعبة الديموقراطية » وكذلك ناضل الشيوعيون في سبيل الاستيلاء على السلطة بأسلوب دكتاتوري على هدى اكتوبر ١٩١٧ الساطع الذي أرسى في نفس الوقت قواعد الاممية الشيوعية التي قد أعيد بناؤها من جديد . وقد أخذ الشيوعيون على عاتقهم مسؤولية

شيء نضالها اليومي من أجل الدفاع عن مصالحها المباشرة ضد نير رأس المال . ثم ان استبعاد هذا الدور التاريخي يعني أيضا انكار المهمة التاريخية لتحرير البشرية في نفس الوقت الذي تحرر فيه نفسها وهو الامر الوحيد الذي يجعل منها طبقة بالمعنى التام للكلمة كطبقة « ستخلاق مجتمعا جديدا » .

ان هذا الخط الذي يوحد ماضي وحاضر الطبقة العاملة بمستقبلها ما هو الا النظرية والبرنامج والمبادئ الشيوعية الثورية ، وهو يبقى رغم تقلبات الصراع بين الطبقات ثابتا دون تغيير لانه يتجسد في حزب يتبناه دون تحفظ ويتجسد في تنظيم يدافع عنه ويحارب من أجله ويتجرمه عمليا . ولهذا كتب ماركس في بيان الحزب الشيوعي بأن « الشيوعيين يكافحون من أجل المصالح والاهداف الآنية للطبقة العاملة ولكنهم في الحركة الحالية يدافعون ويمثلون في الوقت نفسه مستقبل الحركة » . ولأن البروليتاريا « ليس لها وطن » وتتابع كطبقة أهدافا تتجاوز الحدود الوطنية والحدود التي تتعلق بالفئات المهنية والمحلية أو حدود المصانع والمعامل . الخ . فان ماركس يضيف قائلا حول ما يميز الشيوعيين « انهم من جهة في مختلف نضالات البروليتاريين الوطنية يضعون في الطليعة ويغلبون المصالح المستقلة عن الوطنية والمشاركة لجميع البروليتاريين وهم من جهة أخرى في كل مراحل التطور الذي يمر به الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية يمثلون دائما مصالح الحركة بأكملها » .

ان هذه المبادئ هي التي تميز الشيوعيين أما الذين ينكرون الطابع الاممي للهدف الذي تتجه نحوه الحركة البروليتارية والنضال من أجل تحقيقه فهم ليسوا شيوعيين . والذين ينكرون أن هذا الهدف وهذا النضال يتطابقان مع مصالح الحركة بأكملها ومع مستقبلها والذين ينكرون ضرورة الثورة العنيفة وضرورة دكتاتورية البروليتاريا كطريق مرور الزامي نحو الاشتراكية والذين ينكرون الطابع الالزامي للحزب كأداة هذا النضال الضخم والذي يتسلح بالماركسية كعلم وحيد ، ان الذين ينكرون كل ذلك، لا يمكن أن يكونوا شيوعيين لانه لا يمكن لحلقة واحدة من هذه السلسلة أن تنكسر دون أن تنكسر السلسلة بأكملها ، مما يؤدي أن تبقى البروليتاريا في خنوع قابل لوضعها كطبقة مستعبدة الى الابد .

فهذا الخط الذي ولد منذ قرن ونصف ككتلة واحدة قد بلوره ماركس وانجلس في نصوص ليس هناك ما يضاف اليها ولا معنى « لعصرنتها » وقد أعيدت الى نصابها كاملة من قبل لينين ضد خيانة الاشتراكية

تأكيدهم على « الخط الذي ينطلق من ماركس الى لينين » في التصريح الذي قدمه اجتماع موسكو جوبيه (تموز) عام ١٩٢٠ ، حين قال الشيوعيون المجتمعون من كل البلدان :

« ان الاممية الشيوعية تضع لنفسها كهدف . الصراع بكافة الوسائل بما في ذلك النضال المسلح من أجل تحطيم البرجوازية العالمية وانشاء الجمهورية الاممية للسوفيت كمرحلة أولى على طريق الالغاء التام للدولة » .

وقد أورد تصريح الاممية الشيوعية « تعتبر الاممية الشيوعية دكتاتورية البروليتاريا السبيل الوحيد المتوفر لاقتلاع البشورية من أهوال الرأسمالية (٠٠٠٠) لقد ربطت الحرب الامبريالية بشكل وثيق ، مصير العمال في أي بلد بمصير الطبقة العاملة في سائر البلدان الاخرى . وقد اكدت الحرب الامبريالية من جديد ما قالته لائحة الاممية الاولى : ليس تحرر طبقة الشغيلة مهمة محلية أو وطنية بل هي مهمة أممية (٠٠٠) فالاممية الشيوعية لا تجهل بأنه في سبيل الاسراع بالنصر ينبغي أن تمتلك منظمة طبقة الشغيلة التي تكافح من أجل القضاء على الرأسمالية وبقاء الشيوعية ، تنظيما شديدا مركزية . يجب أن يمثل هذا التنظيم حقيقة وبالموس حزبا شيوعيا موحدا في العالم كله والذي لا تكون الاحزاب العاملة في مختلف البلدان الا فروعاً له ويجب أن يضمن تنظيم الاممية الشيوعية للشغيلة في كل بلد ، الامكانية بأن يتلقوا في أية لحظة من قبل الشغيلة المنظمين في البلدان الاخرى . كل نجدة ممكنة » .

ان هذا الخط الذي ينطلق من ماركس الى لينين والى تأسيس الاممية الشيوعية يرفض حق البقاء في الاممية الشيوعية لكل من ينكر بأن دكتاتورية البروليتاريا هي الطريق الوحيد للاشتراكية وكذلك جميع انصار الطرق الوطنية لتحرير الطبقة العاملة .

وعلى هذا الخط تم تكوين الحزب الشيوعي في ايطاليا عام ١٩٢١ وقد لخص برنامجه القرائي والنظري والبرنامجي والتكتيكي للشيوعية في النقاط التالية :

١ - ان التناقض المتزايد بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج يضطرد دوما في المجتمع الرأسمالي ويؤدي الى تناحر في المصالح والى الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية المسيطرة .

٢ - ان سلطة الدولة البرجوازية هي التي تحمي علاقات الانتاج الحالية وهي تشكل دائما جهاز الدفاع عن مصالح الطبقة الرأسمالية بغض النظر عن شكل النظام التمثيلي وكيفية استعمال الديمقراطية الانتخابية .

٣ - لا تستطيع البروليتاريا تحطيم وتغيير مصدر استغلالها في

علاقات الانتاج الرأسمالية الا بالاطاحة العنيفة بالسلطة البرجوازية .

٤ - ان الحزب الطبقي هو الاداة التي لا غنى عنها لنضال البروليتاريا الثوري وهو يضم في صفوفه الطليعة الاكثر تقدما وتصميما من البروليتاريا ويوحد جهود جماهير الشغيلة فيقودها من النضال اليومي من أجل مصالح جزئية ذات أهداف محدودة الى النضال الشامل للبروليتاريا .

فهمة الحزب التاريخية هي نشر النظرية الثورية في صفوف الجماهير والعمل على تنظيم الوسائل المادية للنشاط الثوري وقيادة الطبقة العاملة في نضالها المستمر عبر ضمانه الاستمرارية التاريخية والوحدة الاممية للحركة .

٥ - ان الطبقة العاملة لا تستطيع أن تنظم نفسها كطبقة سائدة بعد الاطاحة بالسلطة الرأسمالية الا بالقضاء على جهاز الدولة القديمة واقامة دكتاتوريتها الخاصة ، أي بحرمان البرجوازية وكل عناصرها ، (طالما بقوا اجتماعيا على قيد الحياة) من كل حق أو مهمة على الصعيد السياسي وايقال أجهزة النظام الجديد بالطبقة المنتجة وحدها .

فالحزب الشيوعي الذي تتمثل خاصيته المنهجية في تحقيق هذا الهدف الاساسي يمثل وينظم ويقود وحده دكتاتورية البروليتاريا . أما الدفاع الضروري عن الدولة البروليتارية ضد جميع الهجمات المضادة للثورة ، فلا يمكن أن يتحقق الا بتجريد البرجوازية والاحزاب المعادية لدكتاتورية البروليتاريا من كل وسائل التحريض والدعاية السياسية وبتحصين البروليتاريا بتنظيم مسلح يمكنها من صد كل الهجمات الداخلية والخارجية .

٦ - ان قوة الدولة البروليتارية هي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تتدخل بصورة دائمة في علاقات الاقتصاد الاجتماعي وذلك بأن تنجز جميع الاجراءات المتتالية التي تضمن تغيير النظام الرأسمالي بآدارة جماعية للانتاج والتوزيع .

٧ - ان ضرورة الدولة ستضمحل تدريجيا ويتقلص جهازها شيئا فشيئا نحو ادارة عقلانية للنشاطات الانسانية كنتيجة لذلك التحول الاقتصادي وبالتالي لكل نشاطات الحياة الاجتماعية .

لقد تمثلت هذه الاستراتيجية الشيوعية في مختلف البلدان في الكفاح من أجل بلورة حزب الطبقة العاملة كأداة صلبة لا يمكن الاستعناء عنها.

في ثورة البروليتاريا ، ومن أجل توحيد الطليعة المتماسكة من البروليتاريا التي خرجت من المذبحة العالمية وفوضى ما بعد الحرب في العالم بأكمله وعلى وجه الخصوص في أوروبا الغربية ، وهي مشحونة بارادة رائعة للنضال و بروح للتضحية يستحيل ترويضها ، وقد أدركت هذه الطليعة أن انتصار الثورة في البلدان المتطورة وبالدرجة الاولى في ألمانيا هو الامر الوحيد الذي كان سيسمح لروسيا البلشفية أن تتقدم اقتصاديا نحو الاشتراكية ، وأن تحافظ بشكل ثابت ودون منازع على السلطة السياسية ، وأن تحرق المراحل لاجتياز المرور المضمي من اقتصاد ما قبل برجوازي (في الريف خاصة) الى الحد الاقصى من رأسمالية الدولة ، وذلك لان السلطة البلشفية في روسيا كانت هي السور المنيع والفصيل المتقدم للثورة البروليتارية العالمية وقد كانت ترتكز مع ذلك على قاعدة اقتصادية متخلفة كثيرا بنسبة ساحقة ما قبل رأسمالية .

فالاحزاب الشيوعية المسلحة بالنظرية الماركسية التي أعيدت الى نصابها من قبل حزب لينين ، تستند بقوة الى الانضباط الاممي في مركزيته الحادة ، وقد كان على هذه الاحزاب أن تستمد استراتيجيتها وسبب وجودها نفسه من الاقرار بأن الاحزاب الاصلاحية التي أسماها لينين « اجزايا عمالية - برجوازية » كالاشرناكية الديموقراطية بمختلف تشكيلاتها كانت مضطرة أن تلعب دورا مضادا للثورة لا تراجع عنه . وذلك بسبب طبيعة الاهداف التي حددتها هذه الاحزاب لنفسها وطلاقها الكامل مع المبادئ الاساسية للماركسية مما يعني اندماجها المباشر أو شبه المباشر في الدولة البرجوازية .

ولكن مأساة البروليتاريا العالمية بعد الحرب الكونية كانت تكمن في ان مقابل الجهود العظيم الذي كان يبذله البلاشفة لضبط السيطرة على القوى البرجوازية والبرجوازية الصغيرة التي تنبع من الارضية الاقتصادية والاجتماعية في روسيا ، وكذلك لنشر الحريق الثوري في العالم كله ، ففي مقابل ذلك كانت تغيب عملية التكوين العضوي الصارم للاحزاب الشيوعية في المناطق الاساسية من أوروبا الرأسمالية المتطورة . وذلك لان التقاليد الديموقراطية والبرلمانية الشرعية كانت تثقل كامل الحركة العمالية الغربية ولان القيادة الاممية (التي كان تيارنا آخر من حملها مسؤولة المسار التاريخي الذي كان أصله موجودا في الغرب البرجوازي المتعفن) كانت تفتقد الوعي الواضح للحزم الذي ناضل به لينين وحزبه خلال عشرين سنة ضد الانتهازية وكانت تفتقد أيضا الثبات الذي احرز معه السلطة بعد أن طرد ليس فقط الاحزاب البرجوازية البحتة ولكن أيضا الاحزاب العمالية من نمط « الموفقين » ، فهذا الحزم والثبات

كان يجب أن يجد تطبيقا أكثر حزما وحدة في المناطق التي كانت فيها الثورة البرجوازية ذلك الحين أمرا واقعا منذ نصف قرن وأكثر . وبينما كان من المفترض أن تقوم الاممية بانتقاد صارم لاحتزاب الاشتراكية القديمة ، فقد تساهلت كثيرا في الموافقة على انضمامها عندما اعتقدت بأن حطام الماضي يمكن أن يهضمه الحريق الذي اشتعل في موسكو وسانت بطرسبورغ فنتبين أن هذا الاعتقاد مراهنه خاسرة .

لقد كان يتوجب على الاممية أن تبلور تكتيكا سريعا وواضح المعالم يقضي بتجميع البروليتاريين حول الحزب الماركسي الثوري على أرضية الدفاع عن ظروف حياة وعمل الطبقة العاملة في **الدولة البرجوازية** ، لكي يتسنى لها أن تدافع عن نفسها بشكل فعال ابان الثورة البرجوازية المضادة التي ارتدت ثوب الفاشية ، بما في ذلك احتمالات المبادرة لهجوم مضاد .

لقد كان هذا التوجه قادرا أن ينتزع الطبقة العاملة ، ليس فقط من تأثير الاصلاحية بل أيضا من حلم المراهنة على استعادة أولئك الذين تخلوا عن « الخط الذي ينطلق من ماركس الى لينين والى الاممية الشيوعية ، لضمهم في صفوف الثورة البروليتارية .

ولكن على النقيض من هذه السياسة ، فقد أطلقت في الاممية شعارات غير واضحة وكانت ضد نوايا البلاشفة ورغما عنهم ، فتركت الباب مفتوحا للاحلام والمراهنة خصوصا أن « الخيول القديمة » التي عادت من الاصلاحية وحتى من الاشتراكية - الشوفينية قد تبنت هذه الشعارات وهي متهاكة حول راية الاممية .

فشعار « الجبهة المتحدة » مثلا ، يترك الباب مفتوحا لتأويلات متقلبة ، وحتى متناقضة ، لانه ليس محددا بشكل كاف . ولذلك كان يطرح شعار « الحكومة العمالية » تارة كمرادف لدكتاتورية البروليتاريا وتارة أخرى كطريق مختلف عنها أو حتى كطريق برلمانية للسلطة . وقد التفت هذه الاحزاب على سياسة الاممية الشيوعية تحت شعارات « البلاشفة » واخذت تمحو شيئا فشيئا الخط الفاصل بين الاحزاب الشيوعية وبين الاحزاب والحركات الفلاحية في البلدان الرأسمالية من جهة وبين الحركات الوطنية الثورية وحتى الاحزاب الديموقراطية في المستعمرات من جهة أخرى . وقد كانت هذه السياسة مقدمة لاعادة مأساة قصة « الثورة على مراحل ، المنشقية في الصين مما أدى أن تذوب حدود الحزب وتلتحق البروليتاريا في ذيل البرجوازية الصينية عندما أنخرط الحزب في الخوميئات من خلال سياسة الجبهة الوطنية التي أدت الى سحق وذبح البروليتاريا عندما جاءت ساعة الصدام التاريخي الحتمي مع الحزب

الوطني ، وتصنيفتها من الحلبة السياسية لفترة سياسية ما زالت قائمة حتى الان . وذلك لان البروليتاريا لم تكن محصنة ضد أوام التحالف الاخوي مع البرجوازية الوطنية . وبالإضافة لذبح البروليتاريا ، أدت هذه السياسة ان ينحصر أفق الثورة الصينية على يد البرجوازية الوطنية بأفق ديمقراطي برجوازي .

لقد تم هذا التحول أيضا في الاممية بسبب التفكك التدريجي لعري التنظيم والتكتيك ، مما أدى بالاممية لان تتكيف مع الاحزاب « الشيوعية » الغربية التي لم تكن تملك من الشيوعية سوى اسمها ، بدل أن تضبط وتقوم عملية فرز الاحزاب الشيوعية التي خرجت من الاشتراكية التقليدية وقد أدت هذه السياسة الى نتيجة فادحة لاعتبارين :

١ - ففي هذا الوقت أخذ يتباعد مرأى الثورة العالمية .

٢ - وفي هذا الوقت اشتد ضغط القوى الاجتماعية البرجوازية على دكتاتورية البروليتاريا ، وخاصة من الخارج ، وكبرت لدرجة أنها استطاعت أن تطيح بالحزب الذي كان الاداة الرائعة لقيادة ثورة أكتوبر والحرب الاهلية .

وقد جاءت الستالينية كتعبير عن هذا الانقلاب في موازين القوى بين الطبقات على المستوى العالمي ، وقد كان عليها أن تدبج القيادة البلاشفة القدامى لكي تتقدم دون مضايقات على طريق الترمك الرأسمالي ، وكان عليها قبل هذا أن تغطي دورها المضاد للثورة خلف راية « الاشتراكية في بلد واحد » (هذه النظرية هي أساس الطررق الوطنية السلمية والديمقراطية للاشتراكية) وقد رشحت نفسها بعد ذلك لان تحتل مكان الاشتراكية - الديمقراطية عندما دعت البروليتاريين في جميع البلدان ليتذابحوا على جبهات القتال ابان الحرب الامبريالية الثانية .

ولهذا فان الخط الذي ينطلق من ماركس الى لينين والى تشكيل الاممية الثالثة في سنوات انطلاقها الاولى ، يستمر بالنسبة لنا عبر كفاح اليسار الايطالي ضد بدايات مظاهر الخطر الانتهازي داخل الكومينترن (الاممية الثالثة) . هذا الخطر الذي كان نذيرا في البداية أصبح فيما بعد حقيقة مادية ملموسة . ثم يستمر هذا الخط عبر الصراع الذي خاضه اليسار الايطالي عام ١٩٢٦ بشكل مواز للمعارضة اليسارية في روسيا ضد الستالينية التي أخذت تسيطر على الدولة السوفيتية وعلى اممية لينين .

لقد كانت الستالينية المتخفية بوقاحة تحت طلاء من « اليسار » بين اعوام ١٩٢٨ - ١٩٣٢ ، هي المسؤولة عن نزع السلاح من البروليتاريا سياسيا وتنظيميا عند مواجهة الهجمة النازية والفاشية . وقد كانت هي

المسؤولة عن نزع سلاحها في مواجهة الديمقراطية البرجوازية هذه المرة في فرنسا واسبانيا عن طريق الجبهات الشعبية ، حيث أطفأت الستالينية اللهب الناتج من الصراع الطبقي ، في التحالف مع الاحزاب البرجوازية والانتهازية تحت حجة الدفاع عن النظام الجمهوري . وقد كانت الستالينية مسؤولة عن الانضمام الى المجزرة العالمية الثانية تحت راية « الحرية » والوطن ، وكذلك عن دخول الاحزاب « الشيوعية » في جبهات لم تكن شعبية فقط بل كانت جبهات اقتصاد وطني برجوازية ، أفرزتها المقاومة المشتركة للعدو الخارجي ، بالإضافة لمشاركة هذه الاحزاب في حكومات تبنت مهمة إعادة بناء الاقتصاد الوطني بعد الحرب ، مما حتم عليها أن تتخلى عن دكتاتورية البروليتاريا وعن الاممية ولو على المستوى الشكلي ، واستعدادها المفصوح لانقاذ الاقتصاد الوطني المتأزم والاجهزة الديمقراطية المشرفة على الهلاك ، ثم ربطت حركة البروليتاريا في البلدان المصنعة بذيل متطلبات دول «ها» الامبريالية .

ان النتيجة المأساوية لهذه السياسة الانتهازية قد أدت الى عزل حركات التحرر في المستعمرات بعد أن شاركت الستالينية بادانة هذه الحركات وقمعها ، كما كان حال الحزب الشيوعي الفرنسي ، كما أدت لان تربط موسكو الحركات الجذرية بالاحزاب المعتدلة والاكثر استعدادا للمساومة مع الامبريالية والطبقات القديمة .

لذلك فان الخط الذي يربط ماركس وانجلس بلينين وبانشاء الاممية الشيوعية وينضال اليسار الايطالي ضد انحطاط الاممية ومن ثم ضد الستالينية لا يمكن أن نعزله عن النضال التاريخي ضد الجبهات الشعبية وجبهات الحرب والجبهات الوطنية بكل مشتقاتها ناهيك عن الظاهرات الحديثة للانتهازية الماوية والشعبوية التي تخطت الانتهازية الديموية للاشتراكية - الديمقراطية الالمانية القديمة . وهذا الخط لا يمكن أن يفصله عن ادانة المجرى الفاشي في جوهره للامبريالية الرأسمالية التي ارتدت ثوبا ديموقراطيا والذي تشكل مركزه الامبريالية الامريكية كما لا يمكن أن يفصله عن ادانة الاشتراكية المزيفة الحاكمة في موسكو وبكين لان هذه « الاشتراكية » مبنية على أساس الانتاج البضاعي والعمل المسأجور وكل قواعد الاقتصاد البرجوازي الاخرى .

من هنا فان استعادة الخط الاحمر للمنهج والبرنامج وللمبادئ والتكتيك ولسبل تنظيم الشيوعية الثورية يقتضي بالنسبة لنا أن نعود الى المنظر العالمي للاممية الشيوعية في سنوات تأسيسها الاولى ، اضافة الى حصيلة الدروس العظيمة التي حملها تاريخ السنوات الخمسين الاخيرة والتي تثبت صحة الصراع العنيد الذي خاضه اليسار الايطالي .

سوصا بالنسبة للجانب التنظيمي ، الذي لم يتوقف حزينا عن القيام به
ن ما بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد عام ١٩٥٢ ، فأثمر عن
لسلة طويلة من النصوص تجمعت حاليا في كتاب « دفاعا عن استمرارية
برنامج الشيوعي » .

ان سبيل تحرير البروليتاريا هو الاعداد للثورة منذ الان خارج
لاجهزة البرجوازية الرسمية سواء كانت هذه الاجهزة فاشية أم
يموقراطية ، بل ان هذا السبيل موجه ضدها بالتحديد لانه لا يوجد أي
قطة النقاء بين الشيوعية والديموقراطية . وهذا الاعداد للثورة يتعارض
مع طريق المنابر الانتخابية وأدهاها البرلمانية ولو كوسيلة للتحريض هذا
على الاقل بالنسبة لبلدان الرأسمالية الهرمة ذات الديموقراطية القديمة
لان هذا الاعداد يتم من خلال المشاركة الدائمة في النضالات الآنية للطبقة
العاملة لاجل الدفاع عن ظروف معيشتها وعملها ونضالها ثم من خلال
توسيع وتطوير وتصليب هذه النضالات على قاعده الصراع الطبقي
والوسائل الطبقية . وهذا يعني في المناطسق التي لم ينته فيها الدور
البرجوازي الثوري بأن النضال الذي تخوضه الطبقة العاملة مع الطبقات
الاخرى من أجل أهداف مشتركة وآنية ضد الامبريالية والطبقات القديمة
والزمر الحاكمة ، يجب أن يتم بشحن الشعور لدى البروليتاريين ، بأن
هذه الاهداف ليست أهدافا خاصة بالطبقة العاملة بل هي تناضل لكي
تنالها بأقصى ما يمكن من الجذرية وبكل استقلالية طبقية وذلك لكي تسرع
اجلاء التناقضات الطبقية العصرية والاقتراب من ساعة الثورة الاشتراكية ،
بالصلة مع البروليتاريا العالمية وفق منظور الثورة الدائمة التي رسمتها
الماركسية في المانيا عام ١٨٤٨ التي لاقت بداية تطبيق ظافر في الثورة
الروسية عام ١٩١٧ .

وكذلك فإن الاعداد للثورة يتم في الجهة الأخرى من خلال التحريض
بشكل مستمر من أجل الهدف النهائي للحركة البروليتارية الذي يجعل من
النضال المطلي مدرسة حرب للاهداف النهائية وهذا النضال لا يمكن أن
يكون مدرسة حرب الا اذا كان نضالا حازما وحدوده واضحة تماما .

ثم ان الاعداد للثورة ، يتم من خلال تنظيم الشرائح البروليتارية
حول الحزب بعد ان تكون هذه الشرائح قد وضعت نفسها فطريسا على
أرضية النضال الطبقي المستمر . ثم تنظيم الاقلية البروليتارية داخل الحزب
بعد أن تكون قد وعت السبيل والوسائل التي لا غنى عنها من أجل الانتصار
النهائي .

وكذلك فإن الاعداد للثورة يتم من خلال تدعيم التنظيمات الآنية التي
تحتوي في حالتها الجينية على امكانيات التطور السياسي . الا أننا ندرك

بان تنظيم الطبقة العاملة على شكل واسع وعلى أرضية مصالحها الطبقية ،
لا يمكن انجازها في اطار نقابات الدولة البوليسية (مصر ، سوريا ،
العراق . . .) ومن هذا المنطلق فان اهتمامنا يتركز على مشاركة ودعم
كل اشكال المقاومة التي تلجأ اليها الطبقة العاملة على طريق اعادة البناء
الشاق والطويل للمنظمات الطبقية الحقيقية المستقلة عن هيمنة وسلطة
البرجوازية ، والقادرة على الدفاع عن مصالح الشغيلة .

ان طريق الثورة البروليتارية يتعارض مع الحلم الساذج بثورة
البروليتاريا العفوية وديكتاتوريتها ، بالرغم أن هذا الحلم يولد - مع
الاسف - من جديد وبشكل دائم . وذلك لان هذه الثورة مرهونة بالاعداد
المستمر وقيادة الحزب للصراع الطبقي نحو الاهداف النهائية . كما ان
طريق الثورة البروليتارية يتعارض مع الوهم التروتسكي الذي يراهن على
الازمة الحتمية القاتلة للرأسمالية والتي لن تحتاج عندها الا لهزة بسيطة
من الطليعة المنظمة ، خلال مرحلة وسيطة « لحكومة عمالية » ، تتكون من
الاحزاب ، التي يفترض أن يحييها الوهم التروتسكي من جديد في حالة
الغليان ، رغم مرورها بأسلحتها وامتعتها الى الثورة المضادة ، وذلك
بفضل مهارة المناورة الشيوعية التي تستطيع أن تجذب هذه الاحزاب عبر
الاندفاع الجماهيري مثلما تستطيع أن تستعيد « الدول العمالية المنحرفة » ،
كالاتحاد السوفيتي وكوبا وغيرها الى قضية البروليتاريا الثورية .

اننا نرى في طريق العفوية ولادة خصم تقليدي للماركسية ، طالما
تصدى ماركس لاهامها في الثورة البروليتارية . بينما طريق الاهداف
التروتسكية هي ولادة مريرة لاختفاء تكتيك الاممية الشيوعية في طور
انحطاطها وهي اوهام لو سمع بها تروتسكي نفسه لاحمر وجهه خجلا من
اوهام احفاده .

ان مثل هذه الانحرافات المبدئية عن الخط الارثونكسي هي وحدها
التي يمكن أن توضح تفسير بعض من يعتبرون الاشتراكية كتأميم للصناعة
والتخطيط الاقتصادي .

ان البروليتاريا هي اليوم أحوج من أي وقت مضى لتوضيح الاهداف
وسبل ووسائل تحررها ، فنحن نقوم بهذه المهمة دون كبرياء ، ولكن دون
تردد ، وعلى هذا الطريق نسير كما قال لينين « مجموعة صغيرة مترابطة »
ونحن نهي باننا نسير على طريق وعر مخلصين لدرس لينين ونحن نصمم
على مكافحة « المستنقعات فحسب بل اولئك الذين يتوجهون اليها ايضا » .
هذا ما تقتضيه المهمة الصعبة لـ « ترميم المذهب والتنظيم الثوريين
بالصلة مع الطبقة العاملة وضد السياسة الشخصية والانتخابية » .

الملاحظات

- (١) كما أورده انجلز في مقال بعنوان «بضعة كلمات حول تاريخ عصبة الشيوعيين»، كان قد كتب سنة ١٨٥٨ وظهر في الأعمال الكاملة لماركس في مجلد تحت عنوان كارل ماركس أمام محاكمات كولونيا - منشورات كوست .
- (٢) المنشورات الاشتراكية .
- (٣) منشورات كوست ، نفس المصدر الاول .
- (٤) الاتحاد العام للمنشورات ، سلسلة ١٨-١٠ .
- (٥) خطاب القي بمناسبة الميلاد السابع للجمعية العالمية للشيفلية في ٢٥ ايلول ١٨٧١ . مقتطف من كتاب ماركس ، انجلز ، كومونة ١٨٧١ ، الاتحاد العام للمنشورات سلسلة ١٨ - ١٠ .
- (٦) مهمات الاشتراكيين الديمقراطيين في روسيا . الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني . منشورات دار التقدم .
- (٧) نفس المصدر السابق .
- (٨) الدفاع عن استمرارية البرنامج الشيوعي . منشورات دار البرنامج الشيوعي .
- (٩) على اعتبار ان الماركسية انبثقت عن انجلترا التي كانت في ١٨٤٨ بلدا متقدما بشكل رائع .
- (١٠) الاستشهادات المتقطعة من البيان نوردها نقلا عن طبعة الاتحاد العام للمنشورات سلسلة ١٨ - ١٠ .
- (١١) الاستشهادات المتقطعة من رأس المال ، نوردها من الكتاب الاول الفصل الحادي والثلاثون ، « ولادة الرأسمال الصناعي » : ترجمة ج. روى .
- (١٢) المؤتمرات الرابع الاول للاممية الثالثة ، نسخة طبق الاصل ، دار ماسبيرو .
- (١٣) كارل ماركس ، الأعمال الكاملة ، في مجلد بعنوان كارل ماركس أمام محاكمات كولونيا ، منشورات كوست .
- (١٤) انظر انجلز بضعة كلمات حول تاريخ المصبة ، منشورات كوست .
- (١٥) المؤتمرات الرابع الاول ...
- (١٦) نقد برنامج غوتا وارفورت ، المنشورات الاشتراكية .

La signification des événements de GAFSA

The collage features several overlapping text elements:

- Top Center:** Large Arabic calligraphy 'الاممي' (The International) with the Communist Union logo to its left.
- Top Left:** 'TUNISIE: Malgré la répression, la lutte continue' (Tunisia: Despite repression, the struggle continues).
- Top Middle:** 'Algérie: une lutte avec les inculpés de Sfax et de Tunis' (Algeria: a struggle with the accused of Sfax and Tunis).
- Middle Left:** 'Portée et limites du mouvement de résistance sahraoui' (Scope and limits of the Saharawi resistance movement).
- Middle Right:** 'LA THEORIE ARME DE COMBATS - La question des libertés politiques' (The armed theory of combat - The question of political freedoms).
- Bottom Left:** 'الاشتراكية اممية' (Communist International).
- Bottom Middle:** 'PAGS: Une politique de l'arbitrage' (PAGS: A policy of arbitration).
- Bottom Right:** 'L'impérialisme russe en Afghanistan' (Russian imperialism in Afghanistan).